نداء القمم

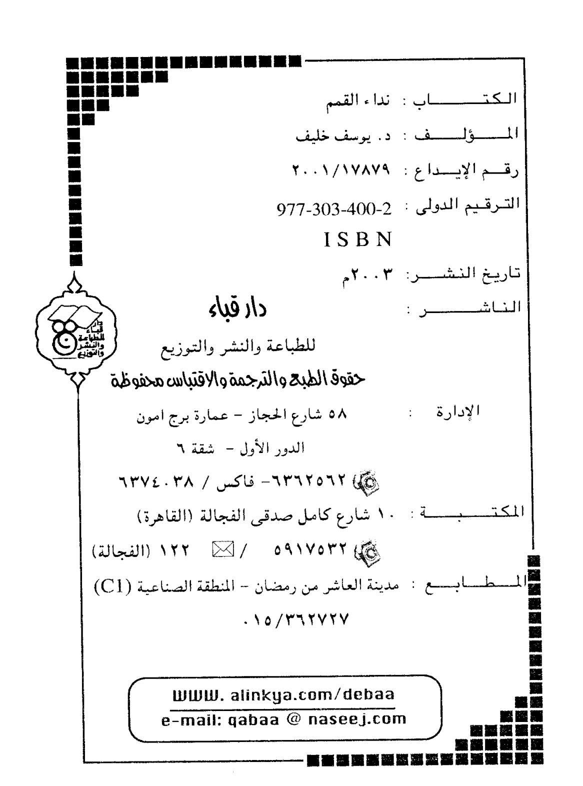
شعـــر

د. يوسف خليف

٢٠٠٣م

النـاشـــــر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع



الكتـــاب : نداء القمم

المـؤلـف : د. يوسف خليف

رقم الإيداع : ٢٠٠١/١٧٨٧٩

الترقيم الدولى : 977-303-400-2

ISBN

تاريخ النشـر: ٢٠٠٣م

الناشـر : دار قباء

للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج امون

الدور الأول - شقة ٦

☏ ٦٣٦٢٥٦٢- فاكس / ٦٣٧٤٠٣٨

المكتبـة : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)

☏ ٥٩١٧٥٣٢ / ✉ ١٢٢ (الفجالة)

المطـابـع : مدينة العاشر من رمضان - المنطقة الصناعية (C1)

٠١٥/٣٦٢٧٢٧

www. alinkya.com/debaa

e-mail: qabaa @ naseej.com

الإهداء

لخدك بسمةِ الفَجْرِ
وثغرك كرْمة الخمرِ
وصوتك رنَّة السِّحْرِ
وطرفك مَوْجَة البَحْرِ
وشَعرك دَفْقَة النَّهْرِ
وعطر الورد والزهر
إليك بهيكلِ الطُّهر
صلاةُ الحب والشِّعْرِ

هذا الديوان

من حق هذا الديوان علىَّ أن أتحدث عنه، لا لأنى حريص على الحديث عنه؛ ولكن لأنى حريص على أن أحدد أين يقف من اتجاهات شعرنا المعاصر فى هذه الفترة من تاريخه التى يقف فيها فى مفترق الطرق ، بين ما استقر له من خصائص ومقومات عبر تاريخه الفنى الطويل ، وما جد عليه من محاولات لإرساء دعائم جديدة له .

ومنذ البداية لا أريد أن أقف موقف خصومة من هذه المحاولات، فأنا لست من خصوم الجديد، ولا أنا من أنصار القديم، بل أنا مؤمن بسنة التطور فى الأدب والفن إيمانى بها فى كل جانب من جوانب الحياة، ولكنى مؤمن - قبل كل شىء - بأن التطور فى الأدب والفن خاصة لا يمكن أن يكون كفرًا بكل القيم الموروثة ، أو تنكرًا لكل المقومات الثابتة التى اكتسبت -عبر طريق الزمن الطويل- صفة الخلود والبقاء .

وكل من ينظر فى تاريخ شعرنا العربى الطويل الذى يمتد حوالى خمسة عشر قرنًا من الزمان يلاحظ أن هذا الشعر خضع لسنة التطور الحتمية التى يخضع لها كل شىء فى الحياة . فعلى طول الطريق الذى سلكه هذا الشعر لم تتوقف حركة

التطور ، وإنما سايرته فى رحلته الطويلة عبر الزمن. ومنذ أن بدأ الطُّفَيْل وأوس فى العصر الجاهلى يرفعان القواعد من بناء مدرسة الصنعة، ويمارسان العمل الفنى على أسس جديدة، وهى الأسس التى تلقاها تلميذهما العبقرى زهير ، فأقام عليها - فى قدرة فائقة- بناء فنيًا جديدًا للقصيدة العربية، إلى أن بدأ شعراء العصر الحديث يضعون مفاهيم جديدة للشعر العربى، وقيما جديدة للقصيدة العربية، والشعرُ العربى فى حركة تطور دائبة مستمرة .

فالشعر العربى لم يتوقف فى رحلته الطويلة عن مسايرة تطور الحياة من حوله، ولم يتجمد فى قوالبه القديمة التى صنعها بُناته الأولون ، وإنما كان دائمًا متطورًا متجددًا فى غير توقف أو جمود ، ويخطىء من يظن أن القصيدة العربية -لحرصها على الإطار التقليدى- قد تجمدت فى شكلها القديم، ولم تستجب لسنة التطور وهى تعبر الزمن المتطور من حولها. ومن الحق أنها حافظت على إطارها الشكلى وطبيعتها الغنائية، ولكنها - مع ذلك - استجابت فى كثير من جوانبها لسنة التطور الحتمية استجابة بعيدة المدى ، حتى لتبدو القصيدة العربية المعاصرة كأنها منبتَّة الصلة من القصيدة القديمة ، مع أنها - فى حقيقة الأمر- ليست سوى امتداد متطور لها ،



ونتيجة طبيعية لسلسلة التطور المتعددة الحلقات التى مرتْ بها.

فالقصيدة العربية قصيدة متطورة أبدًا ، وحركات التجديد فيها مستمرة دائمًا، ولكن هذه الحركات كلها – على كثرتها– لم تقطع صلتها بالقديم ، ولم تقتلع القصيدة العربية من جذورها الثابتة العميقة ، ولم تقم على أساس من الاعتراف به ، والانتفاع بكل ما يمكن الانتفاع به منه ، وهى –لذلك– لم تسبب انهيارًا فى البناء الفنى القديم، ولا تصدعًا فيه ، وإنما ظل هذا البناء ثابت الدعائم، راسخ القواعد، مستعصيًا تمامًا على الانهيار أو التصدع.

ومعنى هذا أن شعرنا العربى لم يكن فى أى مرحلة من مراحل رحلته الطويلة عبر الزمن مُنْبَتَّ الصلة من ماضيه، وإنما كان دائمًا خطًا متصلا لا انقطاع به ، وبناء ثابتًا ترفع الأجيال المتعاقبة منه ولا تُعْمِل معاول الهدم فيه. ولماذا نقطع صلتنا بالقديم ونعمل معاول الهدم فيه،وهو جزء من تاريخنا، ومقوم من مقومات حضارتنا ، وقطعة غالية من حياتنا الشعورية والعقلية؟

والأمر الذى لا شك فيه أن تراثنا الفنى القديم تراث خصب حىٌّ خالد ، يضم فى ثناياه عناصر البقاء والحياة والخلود ، ولولا ذلك لما احتفظت به الأجيال المتعاقبة حريصة



عليه معتزة به ، فهى لم تبق عليه إلا لأنه صالح للبقاء ، والحياة لا تبقى إلا الأصلح ، ومن أجل ذلك لم يفكر أى شاعر من شعرائنا الخالدين فى الانفصال عنه أو الفكر به ، وإنما آمنوا جميعًا بأنه أساس من أسس تكوينهم الفنى . وهو أساس لم يقف بحركات التجديد عن المضى فى طريقها، بل ربما كان معينًا عليها ، محققا لها عناصر النجاح ، مباعدًا بينها وبين أسباب التداعى والانهيار ، وليس من الخير أن نهدر هذا التراث الخصب أو ننفصل عنه وهو يضم هذه العناصر الحية الخالدة، ومن الخطأ أن نفكر فى إحالته إلى الاستيداع، أو تحويله إلى متحف من متاحف الآثار ، فصلتنا به لا تزال قائمة، وهى صلة لا يمكن أن تنقطع، لأنه يضم المقوِّمات الأصيلة والأسس الثابتة لشعرنا العربى، وهى مقومات وأسس لم يتخل عنها هذا الشعر فى أية حركة من الحركات التجديدية المتعددة التى مر بها. ومن ثَمَّ فمن الصعب أن نتصور محاولة للتجديد لا تقوم على أساس من الاتصال بالقديم والانتفاع به، وإلا كانت قائمة على غير أساس ، مهددة -مع كل هزة تتعرض لها - بالتداعى والانهيار .

ولكن ليس معنى هذا أن نَفْنَى فى القديم ، أو أن نمنحه حق السيطرة على أعمالنا الفنية ، وإنما معناه أن نوطد صلتنا

به حتى نكتسب تلك الأصالة التى تكسب العمل الفنى صفة الخلود والبقاء. فنحن لا نريد أن نذوب فى القديم، ولكنا نريد أن يذوب هو فى أعماقنا ، ونحن لا نريد أن يسيطر علينا ، ولكنا نريد أن نسيطر نحن عليه، ونحن لا نريد أن نمنحه حق التحكم فى أعمالنا الفنية، ولكنا نريد أن نمنحه حق الرقابة حتى لا ننحرف عن الطريق ، ولم يخطىء النقاد العرب القدماء الطريقَ حين كانوا يوصون ناشئة الشعراء بألا يحاولوا ارتقاء السُّلم الفنى الصعب الطويل حتى يحفظوا كل ما يستطيعون حفظه من الشعر القديم ثم ينسوه بعد ذلك . وهى وصية نستطيع ان نترجمها إلى لغتنا المعاصرة بألا يقطعوا صلتهم بالتراث القديم ، على أن يختزنوه فى أعماقهم ، فلا يتدخل فى أعمالهم الفنية ، ولا يفرض نفوذه عليها ، ولايتسرب إليها بمقدار ما تتسرَّب مكنونات اللاشعور إلى أحلام النائم فى غفلة من الرقيب المقيم على بابه، فإذا هى رؤى جديدة كأنما انفصلت من عالم مجهول لا صلة له بما هو مستقر فى الأعماق وكامن من الأغوار . وحين صرَّح الفرزدق بأن شعره هبة من أسلافه النوابغ ، لم يكن يفتخر فحسب بوقوفه على الشعر القديم، وإنما كان أيضا يحدد أسس العمل الفنى الذى لا يمكن أن يقوم بدونها ويضع مفاتيح الفن

وأسرار الأصالة الفنيـة فى أيدى ناشئة الشعـراء . ولا يستطيع أحد أن يدعى أن هذه الهبة ، هبة الأسلاف النوابغ، جعلت من الفرزدق تابعا لهم أو طبعة أخرى منهم، ولكنها - فى حقيقة الأمر - هى التى خلقت منه عبـقرية فذة فى تاريخ شـعـرنا العربى لا يستطيع أحـد أن يمارى فى عبقريتهـا ، وفنانًا أصيلا على حظ كـبـير من الأصـالة يعـرف مواقـع أقدامـه ، ويدرك اتجاهات خطاه .

هكذا أتصور التجديد فى شعرنا العربى ، بل أنا لا أستطيع أن أتصـور التجـديد إلا على هذه الصـورة : اتصالاً بالتـراث القـديم يقف من العـمل الفنى مـوقف الرقـابة لا مـوقف السـيطرة، وحـرصًا على أن يـقوم البناء الـفنى على أسس من مقومات هذا التراث فى غير هدم للأصول أو تبديد للقيم .

من هذه الزاوية التى أومن بها أشد الإيمان أستطيع أن أنظر إلى المحاولة الأخـيرة لتجـديد شعرنـا العربى، فأراها مـحاولة مرتجلة قـائمة على أسس غيـر ثابتة ، لم تكتـمل لها مقـومات التـجـديد ، بل أراها مـحـاولة انحـرفت عن طريق التـجـديد انحرافًا باعَدَ بينها وبين الغاية التى نريد أن نصل إليها .

والوهم الأكبـر الذى وقع فيه أصحـاب هذه المحاولة أنهم تصـوروا أن وحدة القـافيـة واتساق الوزن قـيدان يحـدان من

انطلاقه الشاعر خلف أفكاره التى يريد التعبير عنها أو -بعبارة أخرى- أن الإطار التقليدى للقصيدة العربية يقف عقبة فى طريق هذه الانطلاقه. وهذا وهم لا ظل له من الحقيقة ، فكل من يتتبع شعرنا العربى فى رحلته الطويلة خلال خمسة عشر قرنا من الزمان يحسُّ - فى وضوح- أن وحدة القافية واتساق الوزن لم يكونا فى يوم من الأيام على هذه الصورة التى توهمها أصحاب هذه المحاولة ؛ فلم تقف القافية ولم يقف الوزن فى طريق الانطلاقه التعبيرية أو الفكرية عند أى شاعر من الشعراء، وإنما انطلق الشعراء خلف أفكارهم يعبرون عنها فى سيطرة تامة على الوزن والقافية ، وتحكم دقيق فيهما، ولم يفكر أى شاعر فى التحرر منهما أو التمرد عليهما ، ولو كانت القافية والوزن قيدين يحدان من قدرة الشاعر على التعبير عن أفكاره لوجدنا من بين شعرائنا من يحاول فك القيود وتحطيم الأغلال، ولكننا - على الرغم من كثرة الشعراء وتطاول الزمن- لانجد شاعرًا حاول هذه المحاولة ، وإنما ظلت القافية والوزن مقومين أساسيين من مقومات شعرنا العربى يتحديان الزمن ، بل إننا نجد شاعرًا من أكبر شعرائنا ، وهو أبو العلاء يحاول محاولة عكسية ، فيفرض على قوافيه طائفة من الالتزامات ، وينظم ديوانه الضخم «اللزوميات» الذى سجل

فيه فلسفته فى الحياة والموت ، متمسكًا بها ، دون أن تحد من قدرته على التعبير عن أفكاره وخواطره الفلسفية . ومن قبل أبى العلاء استطاع شعراء القرن الثانى الذين حملوا لواء حركة من أكبر الحركات التحررية فى شعرنا العربى أن يعبروا عن حياتهم الاجتماعية تعبيرا دقيقا على حظ كبير من الصدق والواقعية دون أن تحول قيود الوزن والقافية بينهم وبين هذا التعبير. ومن قبلهم استطاع شعراء السياسة فى القرن الأول أن يخضعوا الإطار التقليدى للقصيدة العربية لآرائهم ومذاهبهم السياسية بما تنطوى عليه من جدل وحجاج. ومن قبل هؤلاء وهؤلاء لم يقف هذا الإطار التقليدى عقبة أمام الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى حين راحوا يسجلون آراءهم الثورية والتقدمية فى حياة مجتمعهم الاجتماعية والاقتصادية ، واستطاع عروة بن الورد أن يسجل فى داخل هذا الإطار فلسفته الاشتراكية دون أن يحد من انطلاقته الثورية فى التعبير عنها .

فالوزن والقافية لم يكونا فى أية فترة من تاريخ شعرنا العربى ولا عند أى شاعر من شعرائنا ، عقبة تقف فى طريق الفكرة أو العبارة . والمسألة - فى حقيقة أمرها - ليست مسألة وزن وقافية ولكنها مسألة سيطرة على المادة اللغوية ، وتحكم

فى أدوات الفن ،وقدرة على تطويع هذه المادة لكل ما يريد الشاعر أن يعبر عنه من أفكار، وإخضاع هذه الأدوات للعمل الفنى بحيث يسيطر هو عليها ، ولا تسيطر هى عليه .

وشعرنا العربى - قبل كل شئ - مبنى بناء صوتيا دقيقا على أسس موسيقية مضبوطة ضبطًا محكمًا ، وقيم صوتية متكاملة تكاملاً تامًا . وهى أسس وقيم لم تحتفظ بها الأجيال عبثًا، وإنما احتفظت بها لأنها صالحة للبقاء. وكما هو معروف يقوم البناء الصوتى للقصيدة العربية على قاعدتين أساسيتين: وحدة القافية فى القصيدة كلها، واتساق الوزن فى كل بيت من أبياتها . ولكن هاتين القاعدتين دخل عليهما - فى أثناء الرحلة الطويلة التى قطعها هذا الشعر - شىء من التطور الشكلى، فظهرت منذ وقت مبكر المزدوجات والرباعيات والمسمطات والموشحات التى تتغير فيها القوافى وفق قواعد موسيقية ثابتة مقررة . ثم ظهرت محاولات أخرى مع مطالع هذا القرن العشرين ، برزت من بينها القصيدة التى تتألف من مقطوعات متساوية فى عدد الأبيات تتفق قوافيها فى كل مقطوعة ولكنها تتغير من مقطوعة إلى أخرى . واستقرت هذه الصورة فى شعرنا العربى الحديث صورةً صالحة لبناء القصيدة العربية الجديدة، وانتشرت فيه انتشارًا

واسعًا . وساعد على انتشارها مـا أصاب القصيدة العربية من تطور فى طريقـة بنائها، وهو تطور قـضى على وحدة البـيت، كما قـضى على تفكك القصيدة نفسـها ، فأصبحت القـصيدة خاضعة لوحدة دقـيقة تتـرابط فيهـا الأبيات ترابطًا مـحكمًا. ووجد الـشعـراء فى المقطوعة فـرصتـهم للتخلص مـن وحدة البـيت وتفكك القـصيـدة ، وأيضا لتـحـقيق هذه الوحـدة فى قـصائدهم، فـحلت المقطوعـة محل البـيت، وأصبـحت لكل مقطـوعة وحدة كـاملة، وأصبـحت المقطوعات تتـرابط ترابطا دقيقـا تتكامل معه الوحدة النهـائية للقصيـدة. وتعددت صور المقطوعة، وتداخلت فيها ملامح من الصور التجديدية المبكرة. وعـاشت هذه الصـور جنبًا إلى جنـب مع الصورة التـقليـدية الثابتة للقصيدة العربية ، وتشعبت السبل بالشعراء، فمنهم من جنح إلى المقـطوعـة بصـورها المتـعـددة ومنهـم من جنح الى القصيدة فى صورتها التقليدية ، ومنهم من تردد بين المذهبين . والأمر الذى لا شك فيـه أن هذه الصور الجديدة لم تنجح ولم تستقـر إلا لأنها قامت على أساس من الفـهم الواعى لمقومات شـعرنا العـربى الثـابتة ، والحس الدقـيق بطبـيعـة هذا الشعـر الموسيقية ، وقيمه الصوتية التى لازمته طوال رحلته البعيدة عبر الزمن. فهى صور احتفظت بهذه المقومات الثابتة ولم تهدرها،

وحافظت على هذه القيم الصوتية ولم تبددها ، ولم تغفل فى حساب التجديد أن الوزن والقافية قاعدتان لا يمكن أن يقوم بناء القصيدة العربية إلا على أساسهما .

وعلى الرغم من نجاح هذه الصور واستقرارها فى شعرنا العربى الحديث لم تختف الصورة التقليدية للقصيدة العربية، وإنما ظلت - كما كانت دائمًا مع كل المحاولات التجديدية - الصورة الأصيلة الخالدة التى استعصت على الفناء ، والتى لم تفلح أية صورة أخرى فى القضاء عليها أو التخلص منها ، والتى أثبتت - على الرغم من كل شىء - أنها تستطيع أن تتسع لكثير مما يظن بعض الناس أنها لا تتسع له ، مادام صاحبها مسيطرا على لغته ، قديرا على التحكم فى أدوات فنه .

★★★

فى ضوء هذه الحقائق الثابتة أنظر إلى المحاولة الأخيرة للتجديد فى إطار القصيدة العربية فأراها محاولة منحرفة ضلت الطريق، ولم تتبين مواقع أقدامها، بل أراها محاولة تحمل فوق ظهرها وزرًا لم تحمله أى محاولة أخرى . وهو وزر سيحاسبها عليه التاريخ الأدبى حسابًا عسيرًا، فهى لم تبدد مقومات شعرنا الثابتة وقيمه الصوتية المتكاملة فحسب ،

وإنما بددت أيضًا تراثنا العروضى الضخم الذى حافظت عليه الأجيال فى حرص بالغ واعتزاز شديد ، وذلك حين قضت على البحور ذات التفعيلة الثنائية التى لا تتفق مع فكرة التفعيلة التى تنادى بها ، وهى فكرة لا تصلح لها إلا تلك المجموعة القليلة من البحور ذات التفعيلة الواحدة، فعلى يديها لقيت البحور الثنائية التفعيلة مصارعها، وهى بحور تمثل -كما هو معروف- القسم الأكبر من العروض العربى . ومن هنا يأتى الوزر الذى تحمله هذه المحاولة فى تاريخ الشعر العربى ، فهى التى قضت على القسم الأكبر من تراثه العروضى الذى تسلمته كاملا فراحت تبدد فيه ، وتعبث به ، فى غير تقدير للتبعة التى تحملها أمام التاريخ .

وفى ظنى أن هذه التجربة لن تستمر ، وأن هذا التيه لن يطول، وأن القافله الضالة ستعود إلى الطريق السوىّ لتواصل رحلتها مع ركب الشعر الماضى فى طريقه على الرغم من كل شئ. وإنى لأنظر فأرى آثار أقدامها تميل شيئا فشيئا نحو هذا الطريق ، وأرى طائفة من أدلائها ممن فتنتهم التجربة الجديدة يعدلون من زاوية انحرافهم ليواصلوا رحلتهم مع هذا الركب، بعد أن رأوا أن تحطيم القيود قد أباح الحمى لكثير من الدخلاء الذين لا تربطهم بالشعر أى رابطة ، وهى ليست -فى الواقع-

قيودًا ، ولكنها ضوابط موسيقية دقيقة تحفظ البناء الشعرى من التداعى والانهيار ، وترد عن حماه أمثال هؤلاء الدخلاء .

ومع ذلك فإنى أعتقد أن هذه المحاولة لو أحسن أصحابها فَهْمَ طبيعتها فى غير مغالاة أو تعصب لا تجهوا بها نحو مجالات أخرى غير مجال الشعر الغنائى . فطبيعة هذه المحاولة تجعلها صالحة للشعر القصصى أو الشعر التمثيلى حيث تختفى مقومات الشعر الغنائية، فهذان اللونان من الشعر هما المجالان الطبيعيان اللذان يمكن أن تسجل هذه المحاولة شيئًا من النجاح فيهما، أما الشعر الغنائى فهو يعتمد اعتمادًا أصيلاً على قيم صوتية ثابتة ، وهى قيم تقوم هذه المحاولة على أساس من إهدارها .

وعلى كل حال ، فمهما تكن طبيعة المستقبل الذى ينتظر هذه المحاولة فالأمر الذى لا شك فيه أن صورة القصيدة العربية كما استقرت بعد جيل شوقى ، وهى الصورة التى تجنح تارة إلى الإطار التقليدى للقصيدة ، وتارة إلى الإطار التجديدى على أساس المقطوعة ، لن تختفى ، فهى صورة أثبتت التجارب التى قامت بها المدارس الفنية بعد شوقى أنها صالحة تماما للعمل الفنى كما يتصوره المجتمع الأدبى المعاصر.



والقسم الأكبر من شعر هذا الديوان من نتاج الفترة التى سبقت ظهور المحاولة الأخيرة التى جنحت إليها مدرسة التفعيلة، فهو- من هذه الناحية- يمثل امتدادا للاتجاه الذى كان سائدًا فى هذه الفترة، ومسيطرًا على الحياة الفنية فيها ، قبل أن يبدأ الصراع بين مدارس الشعر المعاصرة، وهو صراع جعل حياتنا الفنية تمر بفترة غامضة إلى حد غير قليل تركت شعرنا المعاصر يقف بين مفترق الطرق فى حيرة من أمره : فمحاولة مدرسة التفعيلة ما زالت فى دور التجربة، وبقدر ما اجتذبت اليها من شعراء نفّرت منها شعراء، بل إن بعض الشعراءَ الذين فتنتهم التجربة الجديدة عادوا فتراجعوا عنها ، والأشكال المألوفة للقصيدة العربية المعاصرة كما عرفها مجتمعنا الفنى بعد شوقى أخذت تتعرض لهجمات شديدة من أصحاب المدرسة الجديدة، ولكنها أيضا وجدت من يتمسك بها ، ويحرص عليها ، ويدافع عنها فى إيمان عميق بها .

ولا أدعى أننى عشت هذه الفترة الغامضة بمعزل عن هذا الصراع ، وإنما أعترف بأننى عشت فى أعماقه ، أعانى من آثاره ما يعانيه أمثالى من الشعراء الذين بدءوا حياتهم الفنية فى ظل الاتجاهات التى كانت سائدة فيها، وشعرت حقاً بأن شعرى -كشعر هؤلاء الشعراء- يقف فى مفترق الطرق. وهى

طرق كانت تبدو أمامى -كما كانت تبدو أمامهم- غامضة إلى حد بعيد ، فطويت شعرى ، وترددت فى نشره حتى تتضح أمامى معالم الطريق.

ولست أنكر أننى حاولت التجربة الجديدة، ولكن هذه المحاولة أقنعتنى بأنها تجربة غريبة على طبيعة شعرنا العربى، وآمنت بأن هذا الشعر ليس فى حاجة إلى أن نستعير له هذا الإطار الأجنبى الذى تبدو الصورة الفنية فى داخله قلقة منكرة . والشعر ميدان عربى أصيل استقرت تقاليده الفنية قبل أن تبدأ كثير من الشعوب الغربية محاولاتها الأولى لنظم الشعر، وتراثنا منه تراث ضخم احتفظت به الحياة لما يضم من عناصر الخلود ومقومات البقاء . وبدا لى الطريق واضحًا ، وتراءت أمامى معالمه وقد زال عنها ما كان يلفها من غموض ، فلم أتردد فى أن أمضى إلى كل ما نظمته فى إطار التجربة الجديدة لأمزقه غير آسف عليه ! وأخذ شعرى يتحرك من وقفته الحائرة فى مفترق الطرق ليمضى فى الطريق نفسه الذى كان يمضى فيه من قبل، وشعرت بمثل ما يشعر به الغريب حين يثوب إلى وطنه، من إحساس بالراحة بعد القلق ، والأمن بعد الوحشة ، والاستقرار بعد الاضطراب .

ومن هنا كان طبيعيـا أن يدورشعر هذا الديوان -من حيث الشكل- فى داخل الإطـار الذى عـرفتـه القـصيـدة العـربيـة المعاصـرة قبل هذا الـصراع الأخيـر، فهـو يدور تارة فى إطار القصيدة، وتـارة فى إطار المقطوعة . ولكن هذا لم يكن صدى للمجتـمع الأدبى الذى بدأت فيه حياتى الفنيـة فحسب ، وإنما كان أيـضا صدى لإيمان عـميق مـستـقر فى نفـسى بأن هذين الشكلين هما أصـلح الأشكال للقصيـدة العربية المعـاصرة فى صورتها الغنائية .

وتردُّد شـعر الديوان بين هذين الشكلين لم يـأت اعتبـاطًا ،ولا ارتجالا ، ولا كان الغـرض منه تنوع الأشكال أو إثبات القدرة عليها، وإنما جاء نتيجـة لإيمانى بأن الشكلين معاً لا غنى عنهما للشاعر المـعاصر بعد أن تغيـر البناء الداخلى للقصيـدة العربية تغيـــرا جـوهريًا تخلصت مـعـه من وحـدة البـيت وتعـدد الموضوعات، وأصبحت تخضع لوحـدة موضوعية أو عضوية دقيقـة محكمة . فأنا أومن بأن لكل مـجال شكله الذى يصلح له ، فحين تـدور القصيـدة حول فكرة واحـدة متصـلة اتصالا يصعب مـعه الفـصل بين عناصرها ، أو تبين الحـدود الفاصلة بين جزئياتها ، فإطار القصيدة هو الذى يصلح لها حيث تعمل وحدة القافية واطراد النغم علـى إبراز وحـدة الفكر واتصـال

جزئياتها من ناحية ، وعلى تجسيم الإحساس بها وبه من ناحية أخرى ، وأما حين تدور القصيدة حول فكرة تتضح الفواصل بين أجزائها ، بحيث تبدو كأنها مجموعة من الأفكار ، فإطار المقطوعة هو الذى يصلح لها حيث يُبرز تعدد المقطوعات تعدد أجزاء الفكرة ، كما يجسم تغير القوافى من الإحساس بتغير الأفكار .

★★★

فى ضوء الإيمان بهذه الفكرة تردد شعر هذا الديوان بين إطار القصيدة وإطار المقطوعة ، ونستطيع أن نرى مثلا لذلك فى قصيدتى «حطام معان» و «نداء القمم» . فقد اصطنعت للأولى إطار القصيدة حين ارتسمت فى ذهنى تعبيراً عن فكرة واحدة متصلة ، هى فكرة «القدر» الذى راح يدفع بالشاعر فى طريق الحياة الصاخب الطويل مغلوبا على أمره، مستشعرًا غربة قاسية فى تيه سحيق لا اختيار له فيه ، تائهًا فى زحام عالم متشابهة المعالم والصور . ويخيل الوهم للشاعر أن طريق الخلاص فى أن يمضى إلى معبد الحب الذى عاش فيه فترة من شبابه، ثم أخرجه منه القدر الذى لا يملك معه شيئًا. وتطول غربة الشاعر فى تيه الحياة، ويطول اضطرابه فى طريق القدر، والمعبد المنشود لا أثر له وتأخذ ظلمات اليأس تزحف

إلى نفسه المنهارة ، ولكن صوت الحب الذى يرى حيرته ، ويسمع تضرعه ، يستجيب لدعائه ، فيتراءى له ليخلصه من الضلال الذى جرفته الحياة إليه، ويكشف له الحجب فيبدو المعبد البعيد أمام عينيه غارقًا فى الظلام «ليس فيه إلا الدجى والدمار» . ويتلفت الشاعر فى أرجاء المعبد الخالى باحثًا عن صاحبته ، ويهتف بصوت الحب فى لهفة ضارعة يسأله عنها ، ويكشف له الحب عن حجب أخرى فتبدو بقايا الحطام : لقد هجرت معبدها بعد أن خدعها ذئاب تنكروا لها فى مسوح رهبان ، وانطلقت خارج المعبد تلهو على جرف هوة سحيقة بين عصبة من الذئاب تتشهى شبابها. ويقف القدر بين الشاعر وآماله ليدفع به مرة أخرى إلى التيه السحيق وطريق الحياة الصاخب الطويل الذى لا اختيار له فيه .

نداء القمم

وأما« نداء القمم» فقد اصطنعت لها إطار المقطوعة حين ارتسمت فى ذهنى تعبيرا عن فكرة تتضح الفواصل بين أجزائها ، فكرة «الطموح» الذى يدوّى صوته فى سمع الشاعر من فوق القمم الشامخة. وهى فكرة عبرت عنها فى مجموعة من المشاهد يصور كل مشهد منها جانبًا من جوانبها، ويحتل مقطوعة من مقطوعاتها .

وتبدأ المقطوعة الأولى بنداء من الشاعر لحادى الركب

الصاعد نحو القمم بأن يمضى به بعيداً عن حضيض الأرض المظلمة إلى حيث تشرق النجوم. وفى المقطوعة الثانية يصور الشاعر حياة السفح وما يلفها من ظلام وسأم، وما يغشيها من رماد وقتام. ثم يصور فى المقطوعة الثالثة غربته فى هذه الحياة التى لم يجد فيها لأيامه صديقا أو حبيبًا ، وإنما أحاطت به فيها ذئاب جائعة أنشبت فيه أنيابها ، وملأت الدروب من حوله بالحقد والغدر ، وأفاع قاتلة طوقت غصنه الرطيب ، وراحت تفرغ فيه سمومها، حتى تركته «كالسنا الخابى اصفراراً وشحوبًا ». وفى المقطوعة الرابعة يصور حيرته أمام مشكلات الكون التى ينوء بأعبائها الثقال، وكيف استبدت به الحيرة حتى تشابهت عليه معالم الحياة فلم يعد يستبين وجه الحق بينها . وفى المقطوعة الخامسة يصور كفاحه فى سبيل الخلاص من هذه الحياة ، وهو كفاح انتهى به – بعد أن تحطم على صخرة اليأس– إلى الشعور بالسلبية واللامبالاة . ويمضى الشاعر فيصور فى المقطوعتين السادسة والسابعة تلك الهزة العنيفة التى تريد القمم أن تحركه بها ، فيسجل فى الأولى منهما نداء القمم الذى راح يدوِّى فى أذنيه لينتزعه من حياة السفح التى أضاع فجر حياته فيها ، ويسجل فى الأخرى رَجْع النداء الذى راح يثير فى نفسه آمالا بعيدة، ويحرك الطموح الكامن فى

أعماقه ويشد من عزائمه المتهاوية ، ويرفع من روحه المنهارة . لقد صمم على أن يصل إلى القمة مهما يكلفه ذلك من جهد ومشقة وعناء ، وفى المقطوعة الثامنة يصور أحلامه بالوصول ، فيتصور أنه قد وصل إلى القمة البعيدة فوق السحاب حيث دنياه المشرقة التى راحت تمد الرحاب لآماله البعيدة. ثم تكون المقطوعة الأخيرة إلحاحا فى نداء الحادى ليسرع به نحو القمة، فقد آن المفر من السفح ، ولم يعُد له مقر فيه، وإنما مقره هناك فى ذلك الوكر الذى أعدته الحياة له فوق القمة بين الصخور الشامخة الخالدة ، حيث تحوم السحب ، ويتدفق النور ، وتنساب الأنهار ، وتلتف الجنات الخضر بالزهر والعطر والثمر.

على هذا الأساس تردد شعر الديوان بين إطار القصيدة وإطار المقطوعة ، وهو أساس حاولت دائمًا أن أكون حريصاً عليه . ففكرة القصيدة هى التى تفرض علىَّ هذا الإطار أو ذلك ، فحيث تتصل الفكرة وتبدو وحدة متماسكة يبرز إطار القصيدة ، وحيث تتعدد عناصرها وتتضح الفواصل بين أجزائها يبرز إطار المقطوعة ، فلكل عمل فنى إطاره الذى يصلح له ويتلاءم معه ، وهو إطار تفرضه - قبل كل شىء - طبيعة موضوعه أو فكرته .

ولذلك عندما أخذت فى نظم قصيدة «كأس محطمة» استقر فى نفسى أن أحقق لها لونًا من الملاءمة بين الشكل والمضمون عن طريق تحطيم الشكل المألوف للمقطوعة، فرحت أخالف بين قوافيها مخالفة شديدة ، فتارة أباعد بين المتشابهة منها ، وتارة أدانى بينه ، وجعلت المقطوعات يتداخل بعضها فى بعض، وتتشابك ضوابطها الصوتية ، بحيث تبدو القصيدة كلها كأنها مقطوعة واحدة لا ضابط لها ولا نهاية، واتخذت من تفعيلة «المتقارب» وحدة صوتية لها، وبنيت شطورها على تفعيلتين الأخرى منهما مقصورة تتحول فيها «فعولن» إلى « فعولْ» ، وجعلت بعض الشطور تكتمل لها التفاعيل الأربع مع قصر التفعيلة الأخيرة، وجعلت هذه الشطور الطويلة تتردد بين الشطور القصيرة ترددًا يأخذ شكل المفاجأة، فتراءت شطور القصيدة كقطع متفاوتة الأحجام من حطام متناثر، وخيل لى – بعد ذلك- أن هذا الشكل الغريب للقصيد يوحى بصورة الحطام ، ويحقق لى ما أريده لها من ملاءمة بين الشكل والمضمون .

وعلى العكس من هذا شكلت إطار قصيدة «حورية المعبد» فحين أخذت فى نظمها تراءت لى صورة المعبد فى وقفته الجامدة المتماسكة التى يتحدى بها الزمن، ومثلت أمامى

صـورة الفنان العبـقرى القـديم وهو يمارس عـمله الفنى وفق مقـاييس هندسـية صـارمة تلتـزم التزاما دقـيقـا فكرة التمـاثل والتناظر فى الخطوط والزوايا، واستقر فى نفسى أن خير وسيلة تحقق الملاءمـة التى أريدها بين الشكل والمضمـون أن أقيم بناء المقطوعات على أساس من فكرة التماثل والتناظر بين القوافى من ناحية، وفكرة التماسك بـين المقطوعات من ناحية أخرى، فـجعلت قـوافى الشطور الثانـية فى المقطوعـتين الأوليين هى نفسهـا قوافى الشطور الأولى، أو - كما يقول العـروضيون- وحدت بين الضرب والعـروض، مع مغايرة طفيفـة بينهما فى حـرف الوصل فى المقطـوعـة الأولى، وحـرف التـأسـيس فى المقطوعـة الثانيـة، وربطت بين المقطوعـتين عن طريق توحيـد حرف الروى فى ضرب الأولى وعروض الثـانية، وهو توحيد التـزمتـه فى كل مقطوعـات القصـيدة، ولكنى أخـذت أتحلل تدريجـيا من التـزام وحـدة الضرب والعـروض ، حتى إذا مـا أشرفت القصيدة على نهايتها عدت مرة أخرى فى المقطوعتين الأخيـرتين إلى التزام كلتا الوحدتين : وحـدة الروى ، ووحدة الضـرب والعروض، والتـزمت فى المقطوعـة الأخـيرة وحـدة ثالثـة، فوحـدت حـرف الوصـل فى الشطرين إيذانًا بالنهـاية ، وتراءت لى القصيدة -بعد ذلك- صورة من المعبد فى جموده

وتماسكه، وفى تماثل خطوطه وتناظر زواياه ، كما تراءت لى المقطوعات الأربع فى البداية والنهاية أعمدة أربعة دقيقة الصنع تقف شامخة فى مداخله .

وعلى كل حال فتلك فكرة سيطرت علىَّ ، وخيل لى أننى أستطيع أن أنفذ من ورائها إلى مذهب جديد يقوم على أساس من الربط بين الشكل والمضمون أو بين الإطار والفكرة، وهو مذهب قد يساعد على الوصول إلى حل لمشكلة الصراع بين المذاهب الفنية ، وهى المشكلة التى طبعت حياتنا الفنية المعاصرة بطابع الحيرة والقلق وعدم الاستقرار . فإذا آمنا بأن المضمون هو الذى يفرض الشكل ، وأن الفكرة هى التى تخلق الإطار ، وأن لكل قصيدة إطارها الذى يصلح لها ويتلاءم معها، فإننا نستطيع أن نضع حدا لهذه الحيرة ، وندفع بركب الشعر المعاصر فى طريق مستقيمة ، واضحة المعالم ، محددة الغايات والأهداف .

***

وأنا مع الذين يؤمنون بأن للشعر لغة خاصة ، ولست مع الذين يذهبن الى أن لغة الحياة العادية تصلح مادة للشعر أو أداة للتعبير الفنى . فالشعر ليس عرضًا - أى عرض - للأفكار، ولا هو تسجيلا - مجرد تسجيل - لها ، ولكنه

عروض جميل، وتسجيل له وسـائله وأدواته الخاصة، فالجمال عنصر أصيل من عناصر العمل الفنى، وخصوصية اللغة مقوم أساسى مـن مقومـاته، ولولا ذلك لانهـارت الحواجز بين لـغة الفن ولغة الحـياة، وهى حواجـز من الخير للفن أن تظل قـائمة حتى يظل الـفن محتـفظًا بمقوماته ، أو بـعبارة أخـرى - حتى يظل الفن فنا ، فهى ليـست حواجز صناعـية مفتـعلة ، ولكنها حواجـز طبيـعيـة أصيلة نشـأت مع الفنان الأول الذى عرفـته الحياة. والفن لا يعرف أنصـاف الحلول ، فالعمل الفنى إما أن تكتمل له مقوماته فيكون فنا ، وإما ألا تكتمل فلا يكون.

وليس معنى هذا أننى أنكـر صلاحية الحـياة بكل جوانبـها ومظاهرها للعمل الفنى، فكل ما فى الحـياة يصلح مادة للفن، ولكن الذى أنكره أن تكون لغة الحـياة هى نفسهـا لغة التعـبير الفنى. فللشاعـر أن يتخذ من أى جانب من جـوانب الحياة أو أى مظهر من مظاهرها مـوضوعًا لعـمله الفنى، ولكن ليس له أن يتخـذ من لغة الحـياة العادية لغـة له، فهذه اللـغة لا تصلح وسيلة للتـعبير الفنى، وإنما لابد للتـعبير الفنى من لغـة خاصة ترتفع به فـوق مـسـتـوى اللغـة العـادية. والشـعـر - من هذه الناحية- يختلف اختلافا جوهريا عن القصة أو المسرحية، وهو اختـلاف يرجع - من بعض وجـوهه - إلى اختلاف الـغايات



والأهداف ، فالقصة والمسرحية أشد اتصالا بالجماهير وأشد اقترابا إليها من الشعر، فلا مفر لهما من اصطناع اللغة التى تفهمها هذه الجماهير . أما الشعر فهو - بحكم طبيعته - ليس موجهًا إلى كل الجماهير، وإنما إلى طبقة خاصة منها، فمن الطبيعى أن تكون له لغته الخاصة . ومهما نحاول الاقتراب بالشعر من نطاق الجماهير فلن تستطيع أن نحقق له تلك «الشعبية» التى تتمتع بها القصة أو المسرحية. ولِمَ نغالط أنفسنا؟ أليس من الخير أن نتبين مواقع أقدامنا حتى لا نضل الطريق، ونكون كالنعامة التى ذهبت تطلب قرنين فعادت بلا أذنين !!

والصورة عنصر أساسى من عناصر التعبير الفنى، ووسيلة أصيلة لنقل الإحساس إلى العمل الفنى، ومن هنا لاأستطيع أن أتصور العمل الفنى مجردًا من هذا العنصر أو قائمًا على غير هذا الأساس .

وأنا أعرف أن البساطة -فى حد ذاتها- جميلة ، وأنها تبدو -فى بعض المجالات- قادرة على نقل الإحساس إلى العبارة، ولكن البساطة لا تكفى وحدها لإقامة بناء فنى متكامل ، لأن قدرتها على نقل الإحساس وإثارة الانفعال محدودة الطاقة من ناحية ، ومحدودة النطاق من ناحية أخرى.

ولست أنكر الموهبة الفنية ، ولا أنكر أن فى أعماق كل شاعر جانبًا من العبقرية تتفاوت حظوظ الشعراء منه ، وهو جانب حاول القدماء - فى نطاق من الغيبية - أن يفسروه عن طريق الربط بين الشعر وبين قوى خفية مجهولة ، تمثلها الإغريق فى صورة آلهة وربات ، وتمثلها العرب فى صورة جن وشياطين، ولكننى أومن بأن فى الشعر -كما فى أى فن آخر - جانبًا من الصنعة حتى يستقيم للشاعر عمله الفنى، وتتم له السيطرة على أدوات فنه ، وتتحقق له تلك الصورة الخاصة من صور التعبير التى تحتاج - مع الموهبة - إلى كثير من الجهد والأناة.

وشعر هذا الديوان يمثل إيمان صاحبه بهاتين الفكرتين : فكرة اللغة ، وفكرة الصورة، وهما فكرتان لم أتخل عن إيمانى بهما فى كل قصائد الديوان ، وإذا جاز لى أن أبدى رأيا فى شعرى فإنه يخيل إلى أن هاتين الفكرتين - كما أتمثلهما- قد تحققتا بصورة ترضينى فى قصائد « لاتتركينى» ، و«غدا نلتقى» ، و«مناجاة صامتة» ، و«خميلة الحب» ، و«ماتت الأفراح» ، و«استغفار» ، و«الربيع»، و«موسيقا الفجر» ، ومرة أخرى فى «حطام معان»، و«نداء القمم» . ففى ظنى أن هذه القصائد تمثل مذهبى الفنى كما استقامت لى مقوماته ، وهو



مذهب يعتـمد أساسيـا على هذين المقومين ، كما يعـتمد على مقومين آخرين و هما الرمز والقصة .

فإلى جـانب النزعة التصـويرية التى تسيطر على شـعر الديوان، تسـيطر نزعـتـان أخـريان : نزعـة رمـزية ، ونزعـة قصـصيـة. ومنذ البداية أنا لا أدعى أن هـذا الشعر يقـوم على أساس من المذهب الرمزى كـما استقرت أصـوله وتقاليده فى الشعـر الغربى ، ولا أدعى أنى من أصـحاب القـصة الشـعرية بالمفـهـوم الفنى الدقـيـق لهـا ، وإنما الذى أريده هو أن الرمـز والقـصـة يـقـومـان بدور واضح فى شـعـر هذا الديوان ، أو -بعـبارة أدق- فى التـعبيـر عن كثـير من أفكـاره، فهمـا -فى وضعهما الدقيق- أسلوبان من أساليب عرض الفكرة والتعبير عنهـا ، فالفكرة لا تـعرض عـرضا مـباشـرا ، ولا يعـبر عنهـا بأساليب التعبير المعروفة فى الـبيان العربى، وإنما تتخذ القصة وسيلة لعرضها ، ويُصطنع الرمز أداة للتعبير عن أفكارها .

وفى قصيدة «جزيرة الحـرية» نستطيع أن نرى مثلا لهذا الاتجاه. وهى قصيدة حاولت أن أصـور فيها الآمال التى كانت تتعلق بهـا نفوس الشباب فى الفـترة التى سبقت قـيام الثورة ، من تطلع إلى حـرية ، وارتقاب ليوم الخـلاص، ومن إحساس ببعد الطريق وما يعترضه من عقبات ويكتنفه من أخطار . وفى

مثل الظروف السياسية التى كنا نمر بها فى هذه الفترة التى كممت فيها الأفواه ، وقُيِّدت الحريات، لم يكن من اليسير أن تجىء القصيدة على غير هذه الصورة التى جاءت عليها ، وهى صورة اصطنعت فيها الرمز للتعبير عن أفكارها ، كما اتخذت من القصة وسيلة لعرضها .

والقصيدة تحكى قصة شاب مغامر ضاق ذرعًا بحياة الذل وما يستبد بها من قيود وأغلال، فانطلق يبحث عن دنيا مثالية تخلو من الحقد والغدر والظلم والعبودية. وتتراءى له هذه الدنيا المثالية فى جزيرة نائية فى أعماق بحر لجى غاضب دلته عليها حورية من حوريات البحر، وحملته إليها فى زورق منطلق من الغيب يشق به ظلمات الموج ، ولكن الطريق إلى هذه الجزيرة محفوف بالأخطار والأهوال ، فالبحر من حولها ثائر مجنون ، تعصف به الأعاصير ، وتعول الرياح ، وتثور الأمواج ، وتسيطر عليه عصبة من القراصنة الأشرار . ولكن الجزيرة جميلة ساحرة لم تعرف الدنيا شبهًا لها ، كل ما فيها أخضر ، وكل ما فيها يعيش فى حرية وسلام، وفوق شاطئها حورية فاتنة لم تر الأمواج فاتنة مثلها ، تدين لها الجزيرة بالطاعة ، وتعيش معها زوجا للزمان ساحرةً عجوز أهداها الزمان فى زواجهما أسرار علمه. وتضع الساحرة، قرينة



الزمان، أسرار علمها فى خدمة الأميرة، فتصنع لها إكسيراً للخلود ليحفظ عليها شبابها، وتبنى لها قصراً لتستقر فيه، وتهيىء لها فيه عرشًا مسحوراً ولكن الأميرة لا تطيق الاستقرار فى هذا القصر على الرغم من كل ما توافر لها فيه ، ففى دمها شوق جارف للحرية ، وإنها لتفضل عليه الانطلاق فى أرجاء الجزيرة ، فتارة تلهو على الشاطىء ، وتارة تسبح فى الأمواج، وتارة تنتقل بين السفوح الخضر حتى إذا ماجنها الليل التفت حولها عذارى البحر وعرائسه ، ورحن فى سمر ممتع وأحلام معطرة ترددها معهن شفاه الموج، وتحملها إلى أرجاء الجزيرة نسمات الليل الرقيقة. وفى سبيل هذه الأميرة لقى كثير من طلاب المجد مصارعهم ، ولكن مواكب المجد - مع ذلك - ظلت فى طريقها ، فمن أجل الأميرة الخالدة ، الحرية، تهون الأهوال ، وتتضاءل الأخطار .

وغير هذه القصيدة قصائد أخرى كثيرة حاولت أن أحقق فيها هذين العنصرين : القصة والرمز، وإن كنت فى طائفة منها حرصت على أن تبنى القصيدة كلها بناء قصصيًا رمزيًا ، كما رأينا فى «جزيرة الحرية» ، وكما نرى أيضا فى «حطام معان» و«نداء القمم » و « الطائر الجريح » و «هدية حب» و «بلا أمل» . وفى طائفة أخرى اعتمدت على هذين



العنصـرين فى التعبير عن طائفة من أفكارها ، على نحـو ما نرى فى «مناجـاةصـامتـة » و « لاتتـركينى » و «غـدا نلتـقى » و«رسالة حب» و«استغفار » و« غيوم» .

★★★

وأخيرًا أنا أعرف أن شعر هذا الديوان ينزع – فى مجموعه – منزعًا رومانسيًا ، وهو منزع أخذ مجتمعنا الأدبى المعاصر – فى تطوره نحو الواقعيـة – يتباعد عنه . ولا أريد أن أدخل فى جـدل حول المذهبين ، فـقد كـثر الجـدل حـولهـمـا فى الفتـرة الأخيرة كثرة تجعل الحديث عنهما معادًا مكررًا ، ولكنى أكتفى بتسجيل ملاحظتين :

الأولى : أن القسم الأكـبر من شعر هذا الديوان من نتـاج فترة كانت الرومانسية مسيطرة على الحـياة الأدبية فيها ، فهو – من هذه الناحـيـة – لا يمثل انفـصـالاً عن ذوق عـصـره أو مـزاج مجتمعه الأدبى .

والأخرى أن ظهور الواقـعية فى أدبنا المعاصر لا يعنى اخـتفاء الرومانسية ، لأن ظهـور مذهب أدبى تظهر المذاهب الجديدة ، وتعـيش بجانب المذاهب القـديمة . وحقـاً لقد توافـرت دوافع كـثيـرة فى مجـتمـعنا المعاصـر لكى يزدهر المذهب الواقـعى ، ولكن – من غيـر شك– سيظل للمذهب الرومانسى مـجاله ،

لأنه تعبير عن مشاعر مشتركة بين الناس جميعًا ، وهو تعبير خالد بجانب التعبير عن مشاعر المجتمع وأحاسيس الجماعة .
ولا تزال الرومانسية قائمة فى الآداب الغربية ، ولايزال شعراؤها يقومون بدورهم الفنى فى هذه الآداب ، وهو دور لم تستطع الواقعية أن تجعلهم يتخلون عنه . ويخطىء من يظن أن الشاعر الرومانسى- وهو يعبر عن مشاعره الذاتية وتجاربه الفردية - يعيش فى عزلة عن مجتمعه ومشكلاته ، فهو ليس إلا فرداً من هذا المجتمع يقع فى دائرة التأثر والتأثير التى يقع فيها سائر أفراده، وهو فى تعبيره عن ذاته وفرديته إنما يعكس تأثره بمجتمعه، ولم تكن سيطرة الرومانسية على حياتنا الأدبية فى الفترة السابقة إلا صدى لحياة مجتمعنا فيها وما كان يسيطر عليها من قلق وحزن وألم نتيجة لما كان يعانيه هذا المجتمع من تفكك فى وحداته ، وما كان يقع عليه من عسف وظلم واستبداد . وكذلك يخطىء من يظن أن الشاعر الواقعى -وهو يعبر عن مشاعر المجتمع وأحاسيس الجماعة- يعيش بمعزل عن ذاتيته وفرديته ، فهو لا يملك - بأى حال من الأحوال - أن ينفصل عن نفسه أو يقيم بينه وبين ذاته سدا منيعًا .

وفى يقينى أن المذهب الرومانسى لن يختفى، ولكنه سيتطور فى ظل مجتمعنا الجديد الذى لم يعد فيه مجال للقلق

والألم والحرمان نحو «رومانسية جديدة» ، يحل فيها التفاؤل محل التشاؤم ، والطموح محل القلق ، وينساب فيها بدلا من تيار الحزن القديم تيار من البهجة والأمل ، ولكن لن تختفى قطعة الحب أو قطعة وصف الطبيعة ، وإنما ستجد كل منهما مجالها الفسيح جنبًا إلى جنب مع الشعر الواقعى . ومن الخير للأدب - على كل حال - أن تتعدد فيه المذاهب ، حتى لايكون الأدباء جميعًا نسخًا مكررة من أصل واحد ، وحتى لايكون الأدب قوالب متشابهة متماثلة تذوب فيها معالم الشخصيات ، وتختفى ملامحها وقسماتها .

ومع ذلك فشعر هذا الديوان لا ينزع كله منزعا رومانسيًا، فطائفة من قصائده تمثل مشاركة واضحة فى حياة مجتمعنا السياسية والاجتماعية، وترسم صورة لآماله وطموحه وكفاحه وتطوره، على نحو ما نرى فى جزيرة الحرية ومواكب النور وعودة الأبطال والفجر وحسرة وتحية ويقظة النيل .

★★★

وبعد، فما أردت بهذه المقدمة أن أتحدث عن شعرى ، وإنما أردتُ -كما قلت فى البداية- أن أحدد أين يقف من اتجاهات شعرنا المعاصر فى هذه الفترة من تاريخه التى يقف فيها فى مفترق الطرق. والرأى -على كل حال- ليس لى ، ولكنه لأولئك الذين يحملون عبء تقييم حياتنا الأدبية وتقديرها .

مَيّ

في عيد ميلادها الأول

محبوبتى يا مىّ يا أغلى أمانى عُمْرِيَهْ
ياقطعةً من كَبِدى ومُهْجتى وروحِيَهْ
يا فرحةً قد خَطَرتْ أقدامُها فى بَيْتِيَهْ
يا غُنْوَةً تشدو بها عصفورةٌ في عُشّيَهْ
يا زهرةً نَدّيةً تَرِفُّ فى جَنّتِيَهْ
يا بسمةً فى شَفَتِي وقُرَّةً لِعَيْنِيَهْ
يا بهجَةً لمهجتى وراحةً لِنَفْسيَهْ
يا موكبَ النُّورِ الذى قد لاح فى حَيَاتِيَهْ
يا عَالَمًا قد ضَمّ آمالى وكلَّ فَرْحِيَهْ
يا أملاً قد حَقَّقَتْهُ قدرةُ اللّهِ لِيَهْ

***

يا مَىّ يا صغيرتى ، يا صورةً مِنْ أُمِّهَا

يا صورةً صغيرةً كأنها منْ رَسْمِهَا
يا صورةً منْ رُوحِها، وصورةً من جسْمِهَا
على الخدودِ وَرْدَةٌ كأنها مِنْ دَمِهَا
وفى العيونِ نظرةٌ كأنها منْ سَهْمِهَا
وفى الجبين وَمْضةٌ كأنها من نَجْمِهَا
وفى حَديثها الرَّقيقِ نَغْمَةٌ منْ نَغْمِهَا
وفى ثناياها العِذَابِ سُكَّرٌ من فَمِهَا
وفى الخُطى رشاقةٌ كظَبْيَةٍ ورِئْمِهَا
وفى الدلالِ والعِنَاد طَعْمُهَا منْ طَعْمِهَا

***

يا مَيّ يا قصيدتى الأولى التى نَظَمْتُهَا
يا بنتَ أحلامى التى يا طالما ناجَيْتُهَا
يا طالما صَوَّرْتُهَا منْ قَبْلِ ما رَأَيْتُها
صَوَّرْتُها زَنْبقةً ، وبالمُنَى سَقَيْتُهَا
صَوَّرْتُها لُؤْلُؤةً ، وفي ضميرى صُنْتُهَا
صَوَّرْتُها عُصفورةً ، ومُهْجَتى جَنَّتُهَا

وعشتُ أيَّامى وفي سَمْعِي يَرِنُّ صَوْتُهَا
وفى عيونِى صورةٌ لوجهها أَبْصَرْتُها
فهذه نَظَرَتُهَا ... وهذه بَسْمَتُها
وهذهِ .. وهذهِ .. كُلُّ المُنَى رَسَمْتُهَا

***

وَجِئْتِ يامَىّ .. أتيتِ صورةً مِنَ المُنَى
عصفورةً رشيقةً تَنَقَّلَتْ فى عُشِّنَا
ودُرَّةً غاليةً تَألَّقَتْ في عِقْدِنَا
وبَاقَةً من زَنْبَقٍ تَضَوَّعَتْ في رُوضِنا
أُغنِيَّةً كُنَّا تَغَنَّيْنَا بها في حُبِّنا
ولَحْنَ حُبٍّ قد نَظَمْنَاه معًا فى قَلْبِنا
أيامَ أنْ كنَّا نَعيشُ يَوْمَنَا لِغَدِنَا
نَبْنِي لأيامٍ سَتَحْوِينا معًا في بَيْتِنَا
نَحْيَا بها في ذكرياتٍ مِنْ غرامٍ وَضَنَى
وفى مُنًى قد حَقَّقَتْهَا قدرةُ اللهِ لَنَا

نِدَاءُ القِمَمِ

قلتُ للحادي ، وللرَّكْبِ على الآكام سَيْرُ
مُصْعِدًا نحو الروابي الخُضْرِ يكسوهُنَّ سِحْرُ
ملْءُ أذْنَيْه أغاريدٌ ، وأنغامٌ ، وشِعْرٌ
وبعَيْنيه علي البُعْد ينابيعٌ ، ونَهْرُ
عندَها نَخْلٌ ، ورُمَّانٌ ، وتُفَّاحٌ ، وزَهْرُ
وكرومٌ فى مَجَانيها عناقيدُ وخَمْرُ :
لَيس لِى غيرَ الذُّرَى الشَّمَّاءِ ، ياحادى ، مَقَرُّ
فامضِ بى للقِمَمِ العُلْيًا ، فلى فيهِنَّ وَكْرُ
وأنا النَّسْرُ ، مَهَاوِيه على القِمَّةِ صَخْرُ
فاسمُ حتى نَبْلُغَ النجمَ ، ففيه المُسْتَقَرُّ
إنما الأرْض حَضِيضُ ، مِنْ دياجيه المَفَرُّ

قد سَئمْنَا الليلَ ، ياحادي، وأبغَضْنَا الظّلامَا
وكَرِهْنَا العمرَ نُقْضِيه على السَّفحِ نيامَا
نَقْطَعُ الأعوامَ فى أوهامنا عامًا فَعَامَا
ونرى الآمالَ تَنْهَارُ حوالَيْنَا حُطَامَا
لم تَعُدْ لى وَهْدَةُ السفحِ، أياحادي، مُقَامَا
لم نَجِدْ إلا ظلامَ الليلِ فيها والقَتَامَا
ورَمَادًا كان الذُّرْوَةِ جَمْرًا وضِرَامَا
لستُ أرضاها حياةً تَتَغَشَّاني رَغَامَا
إنّ بى للقِمَّةِ الشَّمَّاءِ شوقًا وهُيَامَا
فَوْقَها أنْفُضُ أحزاني ، ويأسى، والسآمَا
وأُحِيلُ العُمْرَ أفراحًا ، وبشرًا ، وابتسامَا

***

قد تَوَلَّى فجرُ أيامى على السَّفح غريبَا
لم يَكُنْ فجرًا بنفسى ، إنما كان غُرُوبا

فيه وَدَّعْتُ السَّنا الصافي ، ولاقيتُ المَغيبَا
مَنْزِلٌ فى السَّفْحِ قد مرَّ به العُمْرُ كئيبا
لم أجِدْ فيه لأيامى صديقًا أو حَبيبَا
إنما سِرْبَ ذِئَابٍ أَنْشَبَتْ فِيَّ النُّيُوبَا
ملأتْ بالغَدْرِ والحِقْد حوالىَّ الدُّرُوبا
وسِوَارًا مِنْ أفاعٍ طَوَّقَتْ غصنى الرَّطيبَا
أفْرَغَتْ فيه مِنَ السُّمِّ جَفَافًا ولَهيبا
خَلَّفَتْنى كالسَّنَا الخَابى اصفرارًا وشُحُوبا
وأنا ابن النُّورِ إشراقًا وآمالاً وَطِيبَا

***

فَتْرَةٌ مَرَّتْ من العُمْر علي السَّفْح خيَالاَ
موكبى أَلْقَى هُدَاه ، وانْثَنَى يَرْعَى الضَّلاَلاَ
وَالليالى مَنْ حَوالَيْه سِراعًا تَتَوَالَى
وَجُمُوعُ الناسِ تَنْسَابُ على الدَّرْب عُجَالَى

حِرْتُ في أمْرِي : أحقًا ما أراهُ أم خَيالا ؟

وَالذي ألقَى على السَّفح: أنارًا أم ظِلالاً؟

والذي أرعاهُ في الأفقِ: أفَجْرًا أم زَوالا؟

غَشَّتِ الصَّحْراءُ أيامي غُبَارًا وَرِمَالا

حَمَّلَتْنِي مُشْكِلاتُ الكونِ أعباءً ثِقَالا

وعلى السَّفحِ يَضيقُ الأفُقُ في العينِ مَجَالا

فاسْمُ لِلقمةِ ، ياحادي ، التي تعلُو الجبَالا

***

عِشْتُ في السفح أقَاسِيهَا دماءً وَجِرَاحَا

مَلأ الشوكُ حوالىَّ شِعَابًا وبِطَاحَا

أنبتَتْهُ تُرْبَةٌ حمراءُ ، فاهتَزَّ رِمَاحَا

سِرْتُ فيها أحْصُدُ الأيامَ دَمْعًا ، ونُوَاحَا

ودمًا أضحَى على الأشواكِ حلاً مُسْتَبَاحا

أتعَبَتْني جَنَّةُ الشوك فألقيتُ السِّلاحَا

نداء القمم

ونَفَضْتُ الكفَّ من كَدْحى وخَلَّيْتُ الكِفَاحا
وتَوَسَّدْتُ ذِرَاعَىَّ على السَّهْلِ ارْتِيَاحَا
أرْقُبُ الدُّنْيَا تُنَسِّينى لَيَالِيهَا الصَّبَاحا
وأرَاهَا كالرَّحَى دَارَتْ ، فما قَدْ جَاءَ رَاحَا
غَيْرَ أنى كلما أغْفَيْتُ هَزَّتْنى طِمَاحَا

***

كُلَّما اغْفَيْتُ هَزَّتْنى الذُّرَى هَزًا شَديدًا
وأفاضتْ مِلْءَ أُذُنَىَّ غناءً ونَشِيدًا:
أنتَ يامَنْ ضَيَّعَ الفَجْرَ على السَّفْحِ رُقُودا
خَفَتَ المِصْبَاحُ فى كَفَيْكَ ، واهتزَّ خُمُودا
أسْكُبِ الزَّيْتَ على الشُّعْلَة نارًا ووَقُودا
وتَخَلَّص مِنْ دَيَاجِيكَ ، وَحَطِّمْهَا قُيودا
وامضِ خَلْفَ النُّورِ للقِمِةِ فى الدَّرْبِ صُعُودا
وابتَدِئْ فى غَمْرَةِ الصُّبْحِ بها عُمرًا جَدِيدا

عَالَمُ القِمةَّ يَدْعوكَ جِبَالاً ونُجودا
فَدَعِ السَّفْحَ لأهلِ السَّفْحِ ، واتْرُكْهُ بَعيدَا
وَتَبَوَّأْ فى الذُّرَى الشَّمَّاءِ مَجْدًا وخلُودا

***

عَالَمُ القِمةِ يدعوكَ ، فقْم لَبِّ الدُّعَاءَ
لا تُضيِّعْ عُمْرَكَ النَّضْرَ على السَّفْحِ فَنَاءَ
اتْرُكِ السفحَ ، وَوَدِّعْ قبل مَسْرَاكَ المَسَاءَ
إنها القِمةُ تَلْقَى في روابيهَا الضِّياءَ
سِرْ على دَرْبِكَ حتى يَبْلُغَ الدَّرْبُ السَّمَاءَ
وَاطْرُقِ الأشوَاكَ لا تَخْشَ جِرَاحًا وَدِماءَ
وَامْضِ في سَيْرِكَ ، لا تَشْكُ مِنَ السيرِ عَنَاءَ
وإذا طالَ بكَ؛ السيرُ ، فَخَفِّفْهُ غِناءَ
غَنِّ بالقِمةِ أفراحًا وبِشْرًا وصَفَاءَ
وربيعًا سوف تَلْقَاهُ خلودًا وبَقَاءَ
بَعْدَمَا لاقيتَ في السَّفْحِ خريفًا وشتاءَ

نداء القمم

رنّةٌ دوّتْ بأُذنيَّ أناشيدًا عِذَابَا
ملأتْ أصداؤُها حولي بطاحًا وشِعَابَا
وأفاضتْ ملْءَ جنبيَّ حياةً وشَبَابَا
وأزاحتْ عن سنَا نفسي غُيومًا وضَبَابَا
حمَلَتني في جنَاحيْها ، وجازتْ بي السَّحَابا
ومضتْ بي حيثُ ينسابُ السَّنَا الصافي انسيَابا
وأرتْني في الذُّرَى الشَّمَّاءِ أفراحًا عِجابا
كلُّ ما فيها يُغنّي لي انتظارًا وارتقَابَا
إنها دُنْيايَ قد مدَّتْ لآمالي الرِّحَابا
هيَّأتْ لي في روَابيها غرامًا وشَرَابَا
وأعدَّتْ لي جنَاحًا يَسْبِقُ الريحَ رِكَابَا

***

سرْ بنا ، يا أيها الحادي ، فَقَدْ آنَ المَفَرُّ
واتْرُكِ السفحَ، فما في السَّفْحِ، ياحادي، مَقَرُّ

وَاقْصـدِ القِـمَّةَ ، ياحـادى ، ففـيها المُسْتَقَرُّ

ذلكَ الوكـرُ على القِـمةِ من حَـولَيْـه صَخْـرُ

حَـوَّمَتْ من حولِهِ السُّحْبُ كمـا حوَّمَ طَيْـرُ

تحتَــهُ الأنهـارُ تَنْسَــابُ لهـا عُنْفٌ وكِـبْـرُ

طَوَّقَــتْــهُ جَنَّةٌ لَـفَّــاءُ : أثمــارٌ وزَهْرُ

وعليــه مِنْ صــفـاءِ النُّـور إشـراقٌ وبِشْــرُ

إنه وَكــرى سَــيَلقَــانَا به نورٌ وعِـطْرُ

وشـبــابٌ كلُّ مــا فـيـه أغــاريدٌ وشِــعْـرُ

وحياةٌ سوف نَـقْضِيهَا ، وبعدَ العُـمرِ عُمْرُ !

نـداء القمم

مُنَاجَاةٌ صَامِتَةٌ

مـاجَ النَّدِيُّ بضَـجَّـةِ الصَّـحْبِ
وَطَغى عـلى سُـمَّـارِهِ الفَـرَحُ
وتَرَدَّدَتْ ضَـحِكَـاتُهُـمْ تُنْبِي
عـمَّـا أفـاضَ علـيـهمُ الـقَـدَحُ

***

جَـمْعٌ من الخـلاَّنِ ، دُنْيَـاهُمْ
خِـلْوٌ مـن الأحـزانِ والهَـمِّ
تركـوا شُجُـونَهُمُ لأُخْـرَاهُم
وتَمَـتَّـعُـوا بسـعـادةِ الحُلْمِ

***

وَمَشَوْا مع الدنيا بِموْكِبِهَا

فى رحلةٍ لم تَعْرِفِ التَّرَحَا

مُتَزَوِّدين لها بَمطلَبِهَا

لم يُغْفلِوا لَهْوًا ولا مَرَحَا

***

سَاروا كما سارتْ قَوَافِلُهُمْ

لم يَصْحَبُوا في دَرْبِهِمْ فِكْرًا

الهَمَّ ألْقَتّهُ كواهِلُهُمَ

وَمَضَوْا فلا حُبًا ولا شِعْرًا

***

عاشوا فلا حُبٌ يُعَذِّبُهُمْ

لم يَعْرِفوا شوقًا ولا سُهْدًا

اللَّهْوُ والنسيانُ مَذْهَبُهُمْ

لا ذِكْرَ عندهمُ ولا عَهْدًا

أَلغَـــوْا قلـوبَهُمُ فـــلا خَـــفْقُ
أيّامُـــهُمْ من خَـفْـقِـهـا خِلْوُ
أجســادُهُم يَحلُو لهـا الـعِشْقُ
تَلهُـــو كـمـا يَحلو لهـا اللّـهـوُ

***

والرُّوحُ في قــامــوسِــهِمْ وَهْمُ
وخَــيَــالُ مَــفْــتُــونين بـالفَنِّ
أسطـورةٌ تاريخُـــهــا سُـــقْمُ
لم يَعْـرِفـوا منهـا سِـوَى الحُـزْنِ

***

الحبُّ عـندهـمُ بأنْ تَحْـــيَـــا
فى الأرضِ ، لا أنْ تَسْكُنَ السُّحُبَا
وتعــيشَ بين مَـبَــاهِجِ الدُّنْيَـا
لا أنْ تُغَلِّـقَ دونَكَ الحُـجُــبَـا

شَرْعُ الهوى في دينهِمْ شِرْكُ
لم يَعْرفوا فى الحبِّ تَوحيدَا
نَقِّلْ هواكَ ، فــإنما إفْكُ
أنْ تَزْعُمَ الإخلاصَ مَوْجودَا

***

أرْخَيْتُ دونَ حَديثِهم حُجُبى
ما عُدْتُ أسمعُ غيرَ أصداءِ
وَرجَعْتُ مسروراً إلى سُحُبى
وتركتُهُمْ فى أرضِ أهواءِ

***

خَلَّفْتُ للسُّمَّار لَيْلَهُمُ
وَسَمَرْتُ في لَيْلى معَ الصَّمْتِ
وخلوتُ فى دُنيايَ بَيْنَهُمُ
دُنْيَا جميعُ رفاقِها أنْتِ

خَلفتُ ليلَ السامر الصَّاحي
وخلوتُ للأشواقِ والفِكْرِ
وتركتُهُمْ نَهْبًا لأقداحِ
أُصْغِي لِنَجْوَى الحبِّ والشِّعْر

***

فى عُزْلةٍ ترتاحها نَفسى
ألقيتُ عن رُوحى دُجَى الجَسَدِ
وَتألّقتْ فى العالَم القُدْسِى
إشراقةٌ فاضَتْ على خَلَدِى

***

أَخْلو لأفكارى وأحلامى
ولَفِيفتى فى الثَّغْرِ تَحْتَرِقُ
ودُخَانُهَا أشْبَاهُ أَوْهَامى
حَلَقَاتُه يَمْضى بها الأفقُ

قـد أخْفَت السُّمَّار عن بَصَـرِى

مـا عــدتُ أنظرُ غـيـرَ أشـبـاحٍ

فـرجعتُ مـسـرورًا إلى سَمَـرِى

فى عَــــالَمِ الـنُّورِ وَضَّــــاحِ

***

فى عَـــالَم مـــتــــألِّق الـنُّور

ألـوَانُـه فـى رِقَّـــــــةِ الـزَّهْـرِ

يَخْـــتَـــالُ بالـرَّبَّات والحُـــورِ

ويموجُ فى حُـسْنٍ وفي سِـحْرِ

***

نَشْــــوَان تَرْقُـصُ حُـوره طَـربَا

ويَـدُرْنَ فـي دَلٍّ وإغْـــــــرَاء

وَحنـينُ نَايٍ رَنَّ مــقــتـــربَا

يدعـــو إلي رَقَـصَـــاتِهِ النَّـائِى

نداء

القمم

ومَـعَـازِفٌ شـتَّى ، وأوتارُ
ألحَـانُـهـا تُغْـرِى عـلى المَرَحِ
وغَـنـاءُ صُـدَّاحٍ ، وأشـعـارُ
تنسـابُ بين مـبـاهجِ الفَـرَحِ

***

دُنْيَـا من الـرَّيْحـان والوَرْدِ
رَفَّتْ ، ورُمَّـانٌ ، وتُفَّـاحُ
ألوانُهـا عن طـيبـهـا تُبْـدِى
والعِطرُ فى الأرجـاءِ نَـفَّـاحُ

***

أزهارُها منثـورةُ السِّـحـر
بين الجمـالِ الضاحكِ الـضَّاحى
نَمَّـامَـة عن سِـرها الـعِطْرى
فى سِـرْبِ أضـواءٍ وأفـراحِ

في فِتْنَة « فينوسُ » قد ظَهَرَتْ
بإزارِها المُتَهَدِّل العَاجِي
جِسْمٌ ثناياه قد استَتَرَتْ
فيها رُؤَى لَهَبٍ وأمواجِ

***

وبَدَتْ «ديانا» في تَألُّقِهَا
في هالةٍ وضَّاءة النُّورِ
ومواكبٌ لاحت بمَشْرِقِها
يَمْحُو سَناها كلَّ دَيْجُورِ

***

ورَنَتْ « بسيكه » مِلءُ نَظرتِهَا
طُهرٌ ومِلءُ شبابها سِحْرُ
الخُلْدُ ألقى فوق وَجْنَتِها
حُسْنًا تَخَشَّعَ دونه الدَّهر

نداء القمم

وهناك عـــابثـةٌ عــرفـتُ بهــا
« سَـافوُ » تَلُوحُ بثـوبهَـا التِّبْـرى
فى زُمْــرَةٍ حَــفَّتْ بموكِــبَــهــا
للَّهْـــو والأشــواقِ والشِّــعــرِ

***

وَسِــمــــعتُ ألحـانًا مُـــعَطَّرَةً
من كــوثرٍ أمــواجُــهُ خَــمْــرُ
هى « أسْمَــهَانُ » شَـدَتْ مُعَـبِّرَةً
فى كـلِّ لحنٍ يَخْـــتَــفى سِـــرُّ

***

فى زورق مِـــــجْـــدَافُـــه وَتَرُ
وشِــرَاعُــه قــيـثـارة السِّحــر
وزوارقٌ بالحـــــور تَنْتَـــشِـــرُ
فى المَوْج بين ضـفـافـه الخُـضْـرِ

مـــاجت أغـــانٍ في جـوانِـبِـهـــا
وعــرائس الأمـــواج تَـسْـتَـــمعُ
ورنينُ مـوسـيـقَــا مـواكِـبِـهَـا
ألـوان فَـنٍّ كـلُّـهــــــا بِـدَعُ

***

وبدتَ هـنا وهنـاكَ أشـبـــاحُ
قـد حـارَ بين جَـمـالهـا الطَّرْفُ
وتَرَدَّدت فـى الجـو أصـــداحُ
فِـتَنٌ يُقَـصِّـر دونهـا الوصفُ

***

وتـألَّقـت بين الـسـناصــــور
عِـشْنا زمـانًا في مـعـانيَـهـا
كم قـد حلا بحـديثهـا السَّمَـر!
ولَكَم رَوَيْـنَا من أغـــانيــهـــا!

نـداء القمم

وَانشَّقت الأضواءُ عَنْ وَجـهكْ
وَجــه يُضيءُ الـكونَ مـــرآهُ
لم تُشـرق الدُّنيــا علي شِبْـهكْ
أولَسْت أبدع مـــا برا الـله ؟

***

حَـجَّبْتِ كلَّ الحَشْـدِ عن عَـيْنى
وبَقَــيتِ وَحْـــدَكِ مـع الحُبِّ
وَمَـضَتْ أغـانيــهم سـوى لَحنٍ
قـد رَنَّ مِنْ شَـفَـتَـيْكِ فـى قَلْبى

***

وَمَــلأتِ حـــولي كلَّ آفـــاقى
أنـا بينـهـنَّ مُــــدَلّهُ صَـبُّ
أنَّى الْـتَـفَـتُّ فَـثَمَّ أشـــواقى
فى كلِّ لَفْـتَــهِ مُهْـجَــةِ حُبُّ

في كل ناحـيـة أرى أفُــقـا
بضـــيـائك الـوهاج دَفَّــاقَــا
ينســابُ في الأرجـاء مُؤتـلقَا
ويُبَـدِّد الـظلمـات إشـــراقَـا

***

عَـيناك مـلءُ سناهُمـا فَـجْـرُ
إشـراقَــتـان رَوَاهُمـا النُّورُ
نَبْـعَـانِ حُـجِّبَ فـيـهـمـا سِـرٌّ
لكنْ عـلى النَّظَرات تَـعْـبِـيـرُ

***

أسْلَـمْتُ أيـامى لأمْـــرِهِمَــا
وَخَـشَـعْتُ أعـبُدُ فـيـهـمـا ربِّى
ورَضِيتُ مِـنْ دهرى بِسِحْـرِهمَا
حَسْبِى جـمـالُهـما بـه حَسْبِى

تَسْبِيحتي لسَوَاد عَيْنَيْك
وعِبَادَتي لظلالِ أهدابِكْ
وَطَفَاءَ رَفَّتْ فوق خَدَّيْك
فَسَجَدْتُ حُبًا عندَ محْرَابِكْ

***

شفتاك أقداحٌ مُطَهَّرةٌ
عَصَرَتْ طِلاَهَا البكرَ أرْبَابُ
أنفاسُ فِرِدوس مُعَطَّرَةٌ
وَرْدٌ ، وتُفَّاحٌ ، وأعْنَابُ

***

كأسان من لَهَبٍ ومن رِيٍّ
ورُؤَى ينابيع ونيران
ظمآن من طُهرٍ ومن غَيٍّ
مُزجَا لأفراح وأشجانِ

أغنيَّـتَـانِ رَواهُمَـا وتَرِى
ومـضى يُرَدِّدُ منـهـمـا اللَّحْنَا
أصفَى منَ اليَنْبُـوع في السَّحَـرِ
وأَرَقَّ من هَـمَـسَـاته فَنَّا

***

خـدَّاك من إشـراقـه الـفَـجْـر
سـرُّ الحيـاة عليـهـمـا يَجْـرى
حَـيَـوِيَّةٌ دَفَّـاقـةُ البِـشْـرِ
وَصِبًـا يَمُـوج ، وفتنَـة تُغْـرِى

***

وَجنَاتُ وَرْدٍ في نَـدَى السَّحَـرِ
مـاءُ النضـارةِ فـيـه جَـوَّاسُ
نَمَّتْ وشَـايَاتُ الشَّـذَا الـعَطِرِ
عنهـا ، فكـلُّ الروض أنفـاسُ

وعلى الجـبين المُشـرقِ الزَّاهِى
خُـصَلٌ مـن الظلمـاءِ والـعِطرِ
مُـتـهَـدِّلاتٌ في صِـبًـا لاهى
قـد عَـرْبَدَتْ فى الخـدِّ والنَّحْـرِ

***

ثارتْ على التصفيفِ والصَّقْلِ
وتَـنَـاثَـرَتْ ، لـكـنَّـه الـفـنُّ
فـيـه من الإغـراءِ والدَّلِّ
ألوانُ بِـدْعٍ كلُّـهـا حُـسْـنُ

***

خُـصَـلٌ تفـاوَحَ بينهـا عِطرُ
أشـهَى إلى نفـسى مِنَ الدُّنْيَـا
فى كلِّ لَفْـتَـةِ خُصْلَةٍ عُـمـرُ
عِطـرُ الخلودِ بسِـرِّهِ أحْـيَـا

وتَلَفَّـتَـتْ عـينى فـمـا بَصُـرَتْ
إلاّكِ بـين غـــــلائلِ النُّـور
في بَسْـمـةٍ قُـدْسِيَّـة سَحَـرَتْ
نوراً جـــمـيـــلاً كلَّ دَيْـجُــورِ

***

وتَألَّقَتْ إشـراقــةُ الفَـجْـــر
في مـنظـرٍ كـــتـــألُّـقِ الماس
وَانسَــابَتْ الأضـواء فى النـهْـرِ
والشـــرقُ فـي فِــتَنٍ وأعْــرَاسِ

***

أنتِ التـي أشـــرقتِ في أُفُـــقى
فَنَســـــيتُ عـند سـناكِ آلامـى
وَسَطَـعْـتِ لى نـوراً علي طُـرُقى
فكَـشَـــفْـتِ عنهـــا كـلَّ إظلاَمِ

وَرَفَعْتِ سُودَ الحُجْبِ عن عَيْنِي
فـرأيتُ أجملَ مـا حَـوى الكونُ
دنيـا زَهَـتْ بالسحـر والحُسْنِ
وأفـاضَ فـيـهـا بِدْعَـهُ الفَنُّ

***

وأخَـذْتِ بـالصَّـادِي إلـي نَبْعِ
مُـتَـفَـجِّرٍ بـالسَّلْسَلِ العَـذْبِ
قـد طالَ مـا قـد ضَلَّ في الرَّوْعِ
ظمـآنَ يَضْرِبُ فى لظَى الدَّرْبِ

***

ألـفَـى لـديـكِ المـاءَ والـظِّلاَّ
وهنـاءَ أيامٍ جَـمِـيـلاتِ
ضَـمَّتْـهُ في أحضـانهـا طِفْلاَ
فـانسـابَ يَرْتَعُ في الخَـمِـيلاَتِ

مَــرَّتْ ليـــا ليـــهِ ولا أَمَلُ

في مَــهْـمَــهٍ طالتْ مَـهَــاويهِ

لم يَـدْرِ أينَ تَقُـــودُه السُّـــبُلُ

كــونٌ تَشَـــابَهَ كلُّ مــا فِـيـــهِ

***

قــد كــادَ يَـهلِكُ في مَـسَــالِكِهِ

لولا تَـدَارُكُ رحـــمــــةٍ منكِ

مَــرَّتْ عـليـه فـى مَـهَــالِكِهِ

رَدَّتْـه للـدنيـــــا من الـهُلْـكِ

***

يا طَالَـمَــا قــد هــامَ   في طُرُقِ

جُـرْدٍ بغيـر الصـخـرِ والشَّـوْكِ

سُــودٍ تَوَارَتْ في دُجَى الغَـسَقِ

لـم تَهْــــدِهِ إلا إلـى الشَّـكِّ

حتى طَلَعْتِ عليه في يأسه
حيرانَ قد ماتَتْ أغانيه
فَجْراً أعدت إليه مِنْ نَفْسه
ما قد أضَلَّتْهُ ليَاليه

***

أنتِ التي طَهَّرتِه حُبّاً
من بعدِ ما قد ضَلَّ في الظُّلَم
وَخَلَقْتِ منه عابداً صَبّاً
تَرَكَ السُّفُوحَ وهامَ بالقِمَم

***

كم قد سَرَى في وَهْدَةِ السَّفْحِ
وانسابَتِ الحيَّاتُ في إثْرِهْ
آلامُهُ مَخْدُورةُ الجُرْحِ
وهُدَاهُ مغلوبٌ على أمْرِهْ

في كل ناحيةٍ بدتْ أفْعَى

تُغْرِي على العِصْيَانِ والإثمِ

لم يَسْتطعْ لُسُمومها دَفْعَا

فهَوَى جريحَ اللَّدْغِ والسُّمِّ

***

وسَرَى على أشواكه يَدْمَى

ولكلِّ جُرْحٍ لذةٌ بِكْرُ

تنسابُ في أعصابه عَزْمَا

في أن يَزِيدَ جراحهُ السَّيْرُ

***

كم قد سَرَى لكنَّ في قَلْبِهْ

نورًا نقيًّا كلُّه قُدُسُ

قد ظل يسطَعُ وهو في حجُبِهْ

لم يَنطَفِئْ يومًا له قَبَسُ

كَشَّفتِ عن لألائه الحُجُبَا
حتى يُطَهِّرَ نفسَه النُّورُ
قد فاض مِلْءَ النفسِ مُنسكِبَا
لم يَبْقَ في التيَّارِ دَيْجُورُ

***

ترك الوهاد السود في السفحِ
للذّروةِ البيضاء في القمم
فيها الصفاء يرفُّ كالصبح
والخلدُ فيها ضائعُ العَدم

***

بجناحكِ السَّباق ينطلقُ
حتي يُشَارِفَ قمةَ الجَبَلِ
الأُفُقُ في عَينَيهِ يأتلقُ
بالمَجْدِ والإشراقِ والأمَلِ

لهواكِ ما يَبغيه من مَجّدِ
ولنورِ عينيكِ الأمانيُّ
يسعىَ لها فى عالَم صَلْدِ
لا واحةٌ فيه ولاَ رِيُّ

***

كونى له في سَعْيِهِ الحَادى
يشدُو له إنْ مَسَّه لَغَبُ
وعلى سُراه الكوكبَ الهادى
لا الغيمُ يُخفيه ولا السُّحُبُ

***

كونى رَفيقَته لغايته
لا تتْرُكِيه مُفرَدَ الرّكبِ
فهناكَ في أقصىَ مَفَازَته
روضُ جَميم الماء والخِصْبِ

فردوسُ حُبكما ، وَجَدْوَلُهُ

وخميلةٌ يحلُو بها الغَزَلُ

فى حِضْنِها ، والحبُّ يَكْفُلُهُ ،

عُشٌّ تِرَنُّ بظِلِّه القُبَلُ !

غداً نلتقى

أحـقـًا تقـولينَ يا فِـتْنَتِى
غـدًا فى صباحِ الـهوَى نَفْـترِقْ
إذنْ فلـتـقـولى أيَا طِفْلَتِى:
غـدًا فى لهيب الـنَّوَى نَحْتَرِقْ!
أحـقـًا أعـودُ إلى وَحْـدَتِى
حـزينًا أراعِى اقـتراب الغَسَقْ؟
وأسـتـقـبلُ الليـلَ فى عُـزلتى
حَليفَ السُّهـاد .. حليفَ الأرَقْ
وأحيَـا ومَـالى سـوى لَوْعَـتى
على أملٍ فـى يَدَىَّ اخْـتَنَقْ

أراقبُ فى حســـــرةٍ جنَّتى
تُبــعْـثـُـرها الريحُ فــوقَ الطرُقْ
وأقضِى حياتى .. ويا ضَيْـعَتى!
بِدُنْيَــا الفَــرَاغِ .. بِدُنْـيـا الـقَلَقْ
أجَــرِّرُ في حــيــرةٍ خُطـوتى
بِتـيـهٍ سحـيقٍ بعـيـدِ الأُفُقْ

***

أحـقّـا أعـودُ لِدُنْـيَا الضَّـيَاعْ
لدنيـــا المَلاَل .. لدنيـــا السَّـأَمْ
لدنيا قـضـيتُ صِبـاها المُضَـاعْ
يسَــفْحٍ تهـاوتْ عليـه القِـيَمْ
يموتُ علي جَـانِبَيْـهِ الشُّـعَاعْ
ويحـيَــا الضـلالُ به والـظُّلَمْ
تخَــاذَلَ بين يَـدَىَّ الصــراعْ

وماتتْ على قَدَمَيَّ الهِمَمْ
وَكَلَّتْ مع اليأسِ مِنّي الذِّرَاعَ
وراحتْ تَعَثَّرُ مِنّي القَدَمْ
وغَشَّى الفراغُ جميعَ البِقاعْ
وغَشَّى الظلامُ جميعَ القِمَمْ
وطال المَسيرُ بغيرِ انتفَاعْ
وطال السُّرَى فوق سَفْحِ العَدَمْ
أحقًا تقولين : حانَ الوَدَاعْ؟
إذنْ مَرْحَبًا أيُّهذَا الألَمْ !

***

مُحَالٌ أيا زَهْرَةَ اليَاسَمِينْ
محالٌ أعودُ إلى المُنْحَدَرْ
لسفحٍ أضعتُ عليه اليَقينْ
ولم ألقَ لي فوقهُ مِنْ مَقَرّْ

زَرَعْتُ علي جَانِبَيهِ السِّنِينْ
فكان الحصاد ضَياعَ العُمُرْ
وفَجَّرْتُ في الصخر منه العيُونْ
فـفَاضَتْ بِمِلحٍ أُجَاجٍ كَدِرْ
حَمَلْتُ على كَتِفيَّ الظُّنُونْ
وأعْبَاءَ شَكٍّ كَوَخْزِ الإبَرْ
وأمسكتُ فى قَبْضَتى كالضَّنِينْ
عَصَا الوَهْم أطرُقُ بابَ القَدرْ
ورُحْتُ أصَعِّدُ فوق الحُزُونْ
أجُرُّ الضَّلالَ وأرْعَى الضَّجَرْ
أدورُ مع الدَّرْبِ مثلَ السَّجِينْ
وأرجعُ لم أدرِ أينَ المَفَرْ!

***

بَحَثْتُ طويلاً فلم أهْتَدِ

لقلبٍ يُعِيدُ إلىَّ السَّكَنْ
وَفَتَّشْتُ فى عَالَمى عن غَدِى
فعدتُ بماضٍ طويلِ الشَّجَنْ
وطال ابتهالِىَ فى مَعْبَدِى
وأوْقَدْتُ فيه شموعَ الزَّمَنْ
فلم ألقَ غير صَدَى مُجْهَدِ
تَعَثَّرَ فوق جِدَارِ المِحَنْ
فأقبلتُ والوَهْمُ مِلْءَ اليَدِ
وصَوْتُ الضَّياعِ يَصُكُّ الأُذُنْ
أشقُّ الطريقَ بلا مَقْصِدِ
وأفنى الشبابَ ضَلُولَ الرَّسَنْ
وَحَولِىَ في لَيْلَى الأسْوَدِ
تُعَرْبِدُ أشباحُ إنْسٍ وَجِنْ
أُفَتِّشُ في القَفْرِ عن مَوْرِدِ

غريبَ الطريـقِ .. غريبَ الوَطَنْ

***

رأيْتك فـانجـابَ عنِّى الـضَّـلالْ
وذابتْ ثُلُوجُ الشبـابِ الضَّجِـرْ
وطَار رَمَــادُ الليــالى الـطِّوَالْ
وأجَّ اللَّهـيبُ بجَـمْـرِ العُـمُـرْ
وأبصـرتُ حَوْلـى رُكَامَ الرِّمَالْ
تُجَـلِّيــهِ عنِّى رياحُ القَــدَرْ
ولاحَ الطريـقُ لأعَلى الجـبَـالْ
يُغَشِّيـه نُورُ الهُـدَى المُنْـهَمِـر
وتَكسُـوه مِنْ جـانبيــه الظِّلاَلْ
يَضُـوعُ بهـا عَـبْـهَـرِىٌّ عَطِرْ
وينْسَــابُ نَهْـرٌ يَشُـقُّ التِّـلالْ
يَمُـوجُ على ضِـفَّـتَـيْـهِ الزَّهَرْ

نــداء
القمم

فـألقـيتُ عـنِّى غُـبَـارَ المَلاَلْ
على السَّفح حيثُ يَعيشُ البَشَرْ
وَصَـعَّـدْتُ أطوى طريقَ المُحَال
إلى عـالم القـمـةِ المُنْتَـصِـرْ

***

مُـحَـالٌ أيا أُمْنِيَـاتى العِـذَابْ
مُـحـالٌ أعـودُ لسَـفـحِ المَلَلْ
لسفحٍ نَفَـضْـتُ عليـه العَـذَابْ
وخَلَّفتُ فـيـه الأسَى المُتَّـصِلْ
ألستِ التى قـد مَلأتِ الشِّعَابْ
علىَّ بكلِّ مَـعَـانـى الأمَلْ؟
وكَـشَّـفتِ عَنِّى رَمَادَ الضَّبَابْ
فاظهَـرْتِ جَمْـرَ السَّنَا المُشْتَـعِلْ؟
وأوْقَدْتِ فوقَ جميعِ الهِضَابْ

مَصَابِيحَ تَهْدِى لأعلَى الجَبَلْ؟
وَحَوَّلْتِ فوق طريقى السَّرَابْ
يَنَابِيعَ مَــــاءٍ وعطرٍ وَظِلْ؟
غدًا نَلْتقِى فى ظلال الشَّبابْ
ويَحْلو الغَرَامْ .. ويَحْلُو الغَزَلْ
وفى عُشِّنا فوقَ هامِ السَّحَابْ
تَرِنُّ على شَفَتَيْنَا القُبَلْ !

لا تتركيني

ألـقَـــيْتُ بـين يَدَيْـك أيَّامـي
ومَـضَيْتُ أرْقُبُ فـيهـما قَـدَرِي
وتَرَكْتُ خلف خُـطَاك أحْـلاَمي
تَرْعَى ضـيـاءَ الشـمسِ والقَـمَـرِ
ونَفَـــضْـتُ في واديـك آلامي
وحَـمَلْتُ آمـالَ الـصِّبَـا النَّضِـرِ
ومـضيتُ أكْـشِفُ سِتْـرَ أوهامي
وأُزيحُ حُجْبَ الليلِ عنْ سَحَرِي
فـرأيت بَعْـدَ جـفـافِ أعْـوامي
مـاء الحَـيـاةِ يَـدِبُّ في الشَّـجَـرِ
وبـكُلِّ عُــــودٍ ذابـلٍ ظامـي

عـادَ الشـبـابُ بأبهجِ الزَّهَرِ
وعلى ضِفافِ غَديرِكِ الطَّامي
جَدَّدْتُ ما قَدْ رَثَّ مِنْ عُمُري
أرأيْتِ كيف صَنَعْتِ لي قَدَري؟
وخَلَقْتِ منِّي طِفْلَكِ الغِرَّا؟
وأعَدْتِ لي ما ضَاعَ من عُمُري
فَبَدَأْتُ عُمْرِيَ كَرَّةً أُخْرَى؟
وأرَيْتِني ما غابَ عن بَصَري؟
وكَشَفْتِ لي عن عَيْنَي السِّتْرَا؟
ونَفَضْتِ عنِّي غُبْرَةَ الضَّجَرِ؟
ونَفَخْتِ تحت رَمَادِيَ الجَمْرَا؟
ونَفَيْتِ عنِّي ضَجْعَةَ الخَدَرِ؟
ونَزَعْتِني من نَوْمَتي السَّكْرَى؟
وطويتِ بي سَفْحي ومُنْحَدَري
حتَّى بلغتِ بِيَ الذُّرَى الخُضْرَا؟

واعَـدْتني لمباهجِ الصِّـغَـرِ؟
وَرَجَعْـتنى للفِـتْنَة الكُبْرَى؟
ارأيت يا دُنْيَـاىَ مـا فَـعلَتْ
عَـيْنَـاكِ بى فى غَـفْلَـةِ الزَّمَنِ؟
اشْعَلتِ فىَّ بقـيةً خَـمَـدَتْ
تحتَ الذى نَسَـجَتْ يَـدُ المحنِ
وَاعَـدْتِـنى لملاعبٍ كَـشَـفَتْ
عنهـا الحَـيَـاةُ غـلائلُ الفِـتَنِ
أيامَ كنتُ فَـرَاشَـةً خَـفَـقَتْ
فـى النُّـور مـنْ فَنَـنٍ إلـي فَـنَـنِ
أيامَ كنتُ شُـعَـاعةً وَمَـضَتْ
فى الصُّـبح تَفْـتَـحُ أعينَ الوَسَنِ
أيامَ كـنتُ فـتـىً به انْـطَلَقَتْ
خَـيْلُ الشبـابِ طَـلِيـقَةَ الرَّسَنِ
أيامَ كـنتُ بـدايةً حَـجَـبَتْ

عنها الحياةُ مجاهلَ الشَّجَنِ
ولَّتْ ليالٍ صاغها زَمَنى
كيف اقترحتُ عليه أضواءَ
أمسكتُ فيها ريشةَ الفتَنِ
ورَسَمتُ خطَّ العُمْرِ أهْوَاءَ
وانْسَبْتُ والتيَّارُ يدْفَعُنى
فى كلِّ أُفْقٍ كيفما شَاءَ
ثم التَفَتُّ .. تحطَّمَتْ سُفُنى
وتَنَاثَرتْ فى الموج أشْلاءَ
ورَمَتْ بى الدنيا على قُنَنٍ
جُرْدٍ بغيرِ الشَّوْكِ صَمَّاءَ
أُجْرِرْتُ فوق صُخُورها شَجَنى
وَحَمَلْتُ فيها الدهرَ أعْبَاءَ
وطَلَعْتِ أنتِ فكنتِ لى سَكَنِى
وَسَكَبْتِ حولى الظلَّ والمَاءَ!

جــدَّدْتِ زورقَ رحلتي البَــالي
وَصَنَعْـتِـهِ صُنْعًـا على عَـيْنِكْ
ونَصَبْتِ فـيـه شـراعَـهُ العَـالي
وبَذلـتِ فـيــهِ مُنْتَـهَى فَنِّكْ
ونَزَعْـتِني من عَـالَمي الخَـالي
للعَــالَمِ المَغْـمُـورِ فى حُـسْنِكْ
وأضَــاتِ حــولى كـلَّ آمَـالي
ومَلأتِ سَـمْعَ البَحْـرِ مِنْ لَحْنِكْ
ومع الصــبـاحِ المُشْـرِقِ الخَـالي
خُضْـنَا غِـمارَ المَوجِ فى أمْنِكْ
خَلَّفْتُ فَـوقَ الصخـرِ أطلالي
وطَوَيْتُ عُـمْـرًا ليس من لَوْنِكْ
وقَــذَفْتُ للأمــواجِ أغــلالي
وانْسَبْتُ مرتاحًـا إلى سِـجْنِكْ!
يَا فَـرْحَـتِى ! هل عُـدْتُ للدُّنْيَـا

وبدأت أيامَ الـصبَّـا الغَـالي؟
مِنْ بعـدِ مـا أبْلَيْتُـها سَـعْـيَا
ومـضـيتُ أمْـشـى بينَ أطلاَلى
أفْـرَغتُ فـوق رِمـالهـا الريَّا
وَحطَمْتُ أقـداحى وتمـثَـالى
وَطَويْتُ عـمـرًا عِـشْـتُه غَـيًّا
وَسَـحَـبْتُ فـوق ثَـراهُ أذيَالى
وَافَرْحَتى ! قد عُدْتُ كى أَحْيَا
وأُعِــيـدَ أحْــلاَمى وآمــالى
ورجــعْتُ أطوى عَـالَمى طَيًّـا
لأعـيش عُـمْرَ شبـابىَ الخَـالى
وبُعِــثْتُ بعــد فنائه حَـيًّــا
وَارْتَدَّ رُوحـى بين أوْصــالى!
أرأيتِ كـيـف خَلقْتِنى خَـلْقًا؟
وَنفَـخْتِ فىَّ الرُّوحَ مِنْ أمْـرِكْ؟

وأعَدْت فى قلبى له الخَفَقا
مِمَّا سكَبْت عليه مِنْ عطرِكْ؟
وملأت حولى بالسَّنا الأفُقا
مما تألَّقَ فيه مِنْ فَجْرِكْ ؟
وسَرَيْت بين رَمادِيَ المُلقَى
ناراً تُشيعُ الدِّفْءَ مِنْ جَمْرِكَ؟
أنا صُنْعُ حُبِّك ، صُغْتِنى عِشْقًا
وطوَيْتِنى كالسِّرِّ في صَدْرِكْ
أنا فى يَدَيْك ، رَضِيتُهُ رِقًّا
ورَضِيتُ بالأصْفَادِ فى أسْرِكْ
لا تَتْرُكِينى فى اللَّظَى أشْقَى
يا وَيْلَتِى إن عِشْت من غيْرِكَ !
لا تتركِينى مُفْرَدَ الركْبِ
أطوى غريبًا لُجَّةَ العُمُرِ
فالبحرُ جَبَّارَ بلا قَلْبِ

والشَّطُّ أبْعدُ مِن مَدَى البَصَر
والريحُ تَعْوِي عَوَّةَ الذِّئبِ
والأفقُ خلفَ الغَيْمِ في سُتُرٍ
والفُلْكُ يهْوِي في دُجَى الغَيْبِ
ينسابُ من خَطَرٍ إلى خَطَرِ
وهناك خلفَ الأفقِ في الحُجُبِ
شَطٌّ أراهُ كَبَسْمَةِ السَّحَرِ
يَهْتَزُّ في طِيبٍ وفي خِصْبِ
ويَمُوجُ بين الماءِ والشَّجَرِ
شطٌّ أعدَّتْهُ يدُ الحُبِّ
في مأمنٍ من أعْيُنِ البَشَرِ
شَطٌّ سَنَبْنِي فوقه غَدَنَا
ونُضِيءُ كلَّ النورِ في السُّبُلِ
ونُقِيم بين حِمَاه مَرْفأَنَا
ونُعِدُّ فيه زوارقَ الغَزَلِ

ونعـيـشُ فـوق رمـاله فـتنَا
مَـشْـبُـوبةً أقـوَى مِنَ الأجَلِ
نَحْـيَـا وعينُ الحبِّ تَكْلؤُنا
فى عـالمٍ بـغـرامنا ثـمِلِ
طِفْلين فى شَطِّ الهـوى أمِنا
فـاستـقـبـلا الأيامَ بالقُـبَلِ
نَسِيَا الحيـاة وأغـفـلا الزَّمَنا
فـانسـابت الدُّنيـا على مَـهَلِ
إنـا مـددنـا للـمُـنَـى يدنـا
لا تتـركـينى ضـائع الأملِ !
يا طِفْلتى ، يا فـتنتى الكُبْـرَى
أنا حـائرٌ فى مـفـرقِ الطُّرُقِ
نَسَجَ الضلالُ على الهُـدَى سِتْرَا
وخَبَـا الشـعـاعُ بظُلْـمَـة الأفُقِ
زَحَمَ الظلامُ بـعَـالَمِى الفَـجْـرَا

نداء
القمم

وتَهَاوت الأشلاءُ في الغَسَقِ

وطَوَى الخِضَمُّ سفينتِي الحَيْرَى

فَتَلَقَّفَتْهَا لُجَّةُ الغَرَقِ

وتَنَاثَرَتْ أحلامَى السَّكْرَى

مِزَقًا تُبعثِرُها يدُ القَلَقِ

لا تتركينى أقطَعُ الدَّهرَا

وخذِى أُجَرِّرُ خُطوَةَ الرَّهَقِ

يا ضلَّتى إن عشتُه عُمْرَا

حيرانَ بينَ مَفَارِقِ الطُّرُق !

رسالةُ حُبٍّ

لعـــينيكِ .. لـلنُّور فـى المُقْلَـتَينْ

لخَـدَّيْكِ .. لـلورْدِ فى الوَجْـنَتَينْ

لشَـعْـرِكِ .. للعطرِ في المَـفْـرِقَينْ

لثـغـركِ .. للخَـمْرِ فى الشَّـفَـتَينْ

لصـدركِ .. للسـرِّ في البُـرْعُـمَينْ

لهَـــدْهَدَةِ الموجِ فـي اللُّجَّـــتَينْ

لَمسٌ الحـريـرِ على السَّـــاعِـدَيْن

رِســـــالةُ حُـبٍّ

وأشـــواقُ قَـلْبْ

رســـــالةُ حُبٍّ حـكاهـا الحَنِـينْ

وأشـــواقُ قلبٍ رَوَاهـا الفُـتُــونْ

حـيـاتى ! حـيـاةَ المُنَى والأَمَلْ
حيـاةَ الغـرامِ .. حـيـاةَ الـغَـزَلْ
حيـاةَ الـشـبـابِ بقلبى اشْـتَعَلْ
حـيـاةَ الربيـعِ يقـفـرِى أَهَلَ
حـيـاةَ الـصـبـاحِ بَلَيْـلِى أطلْ
حـيـاة الحـيـاةِ بدُنْيـا المَلَلْ
حـيـاةَ الخلودِ بـدنيـا المُثُلْ

***

طَلَعْتِ على عـالَمِى كـالعَـبِـيـرْ
وقـد لَوَّحَتْنِى رياحُ السَّـعِـيـرْ
وقـافلةُ العُـمْـر بين الهَـجِـيـرْ
يُطَوِّحُـهَـا الدهرُ فـوق الصُّخُـورْ
ومنْ حـولـهـا القـفـرُ نـارًا تَفُـورْ
وشــوكًـا ترامتْ عليـه الدُّهُورْ

فألقيتُ بين يديكِ المَصير
تألّقتِ فى عالَمِى كالصَّباح
كقطعةِ ماسٍ بأغلى وِشاح
فألقيتُ بين يَدَيك السِّلاحْ
وكُلَّ كِفاحِى ، وكلَّ النَّجاح
لِنَرْقَى معًا فوق هامِ البِطاح
ونَبْنَى عُشًا بحِضْنِ الرِّياح
على قِمَّةٍ لم يَنَلْهَا جَناح

***

على قِمَّةٍ فوق هامِ الصُّخُور
تُطَوِّقُها جَنَّةٌ مِن زُهُور
بعطرٍ مُثيرٍ ، وظلٍّ ، ونُور
يَمُوجُ بها يَاسَمِينٌ نَضِير
ويَحْنُو عليها غَدِيرٌ صَغِير

يَضُوعُ على ضِفَّتَيهْ العَبِيرْ
سَنَحْيا كـإلفَين بين الطيورْ
كـزَوْجِ يَمَـامٍ دعـاهُ الهُيَـامْ
لِعُشٍ بَنَتْـهُ ليـالى الغَـرَامْ
يحـيطُ به عـالَمٌ من سَـلامْ
ودُنْيا صفـاءٍ جَـفـاَهـا الظَّلامْ
أليـفانِ لا يَـعْرفـان الخِصَـامْ
ليـالِيـهِمـا فـتنةٌ لا تَـنَامْ
وحُـبٌ تَغَـافَلَ عنه المَلاَمْ

***

وفى عُـشِّنا فوقَ أعلَى الجَـبَلْ
بِظِلِّ الشـبـابِ ونـورِ الأمَلْ
سَنَحـيَا هـوىً يَتَحـدَّى الأجَلْ
وحُـبّـا يَظَـلُّ حـديثَ الأزَلْ

وفى كلِّ رُجْءٍ سيحلُو الغَزَلْ
ويحلو الغرامُ ، وتَحْلُو القُبَل
ويكسُو خُدُودَ الصباحِ الخَجلْ!
سنحيَا هوًى يَتَحَدَّى السنينْ
وحبّا يظلُّ حديثَ القُرُونْ
حَبيبَيْنِ في موكِبِ الخَالدِينْ
بدنيا الغرام .. بدنيا الفُتُونْ
بعُشٍّ يُظللُّه اليَاسَمِينْ
رفيقُ هوانا الوفىُّ الأمِينْ
بعيدَيْن عن أعْيُن الحاسِدْين

***

سَنَصْحُو مع الفَجْرِ في قُبْلَتَينْ
ونحيَا مع الصبُّح فى قُبْلَتَينْ
ونمضِى مع النُّور في قُبْلَتَينْ

ونأوى إلى العُشِّ فى قُبْلَتَيْنْ
لِنَسْتَقْبِلَ الليلَ فى قُبْلَتَيْنْ
ونَصْحُو فى الفَجْرِ فى القُبْلَتَيْنْ

***

لعينيك .. للنورِ فى المُقْلَتَيْنْ
لخَدَّيْكِ .. للوَرْد في الوجْنَتَيْنْ
لشَعْرِك .. للعِطْرِ في المَفْرِقَيْنْ
لثُغْرِك .. للخَمْرِ في الشَّفَتَيْنْ
لصدرك .. للسرِّ فى البُرْعُمَيْنْ
لهَدْهَدَةِ الموج فى اللُّجَّتَيْنْ
لمسِّ الحريرِ على السَّاعِدَيْنْ
رسالةُ حُبْ
وأشواقُ قَلْبْ
رسالةُ حُبٍّ حكاها الحَنِينْ
وأشواقُ قلبٍ رواهَا الفُتُونْ

خَميلة الحُبِّ

هنا يـا عِطرَ أيامِي تَضَــوَّعَ عِـطرُ أنفَــاسِكْ
هنا رَوَّيْتُ أحلامِي بِخَـمْرِ الحُبِّ مِنْ كَاسِكْ
وَوَلَّى لَيْـلُ آلامِي لدى أضــواءِ نِـبْـرَاسِكْ
سَطَعْتِ بعـالَمِي الدَّاجِي ضـيـاءَ شَعَّ دفَّاقَـا
سنًا من طرفكِ السَّاجِي أحالَ العُـمْرَ إشراقا
هنا رَجَّـعْتُ أنغـامِـي عـبـادةَ خـاشعٍ ناسِكْ
وغَنَّى قـلبِيَ الراجِي هَـواكِ مُنًى وَأشْــوَاقَــا

***

هنا فى المَـقْـعَـدِ المُزْدَانِ بالأزهارِ والـعُـشْبِ
وحيثُ الجَدْوَلُ الهيمانُ فـي تَسْبِيحِه العذْبِ
وحـيثُ العِطرُ أسـرارٌ تُثِـيرُ مـفـاتنَ القَلْبِ

وحيث مباهجُ الفردوسِ في سِحْرٍ وإغراءِ
تُنادي كلَّ شاردةٍ إلى إِلْفٍ لها نائي
وتُغري كلَّ من تَلْقاه بالأشواقِ والحُبِّ
لَقيتُكُ فتنةً في قُربِها عِطري وأضوائي

***

وكنتِ كدُمْيةِ المِثالِ سوَّاها بإبداعِ
خَلاً لمِثالِه الفنَّانِ في إحساس مُلتاعِ
وطوَّفَ حولَه في نَظرةِ المتأمِّلِ الواعي
ليُدْرِكَ من معاني الحُسْنِ ألوانًا وألوانًا
ويُبرزَهَا على الصَّلصالِ إبداعًا وإحسانًا
وهَيَّأهُ بمحرابِ الجَمالِ بخيرِ أوضاعِ
وراحَ يُداعبُ الآمالَ في دنياهُ هَيْمانَا

***

وخَلَّفَ في الحِمَى الفنِّي دُنْيا الناسِ للنَّاسِ

وعـــاشَ بَـخلْـوَةِ للـفنِّ فـى نورٍ وإينَاسِ
يُسَوِّى المَرْمَـرَ الـوَرْدِىَّ وَفْقَ أدقِّ مِـقْـيـاسِ
وَيَصْـبِـغُـهُ بألوانِ الشـبـابِ بهنَّ مَـعْنَاهُ
وَدَبَّتْ فـيـه مِنْ حَـيَـوِيَةِ الأحـيـاءِ أشْـبـاهُ
وكـانت آيةً كـادَتْ تَـمُـوج بكلِّ إحـسـاسِ
ولولا الـروحُ قلنا : ذَاكَ مِــمَّـــا أبْدَعَ الـلهُ

***

شِـفَــاهٌ كـاللَّظَـى لكنْ بهـا للـظامِىءِ الرِّىُّ
يُرَفْـرِفُ حـولهـا حُلُمٌ مِنَ الفِـرْدوْسِ وَرْدِىُّ
ويَجْـرِى فوقَـهـا شَـهْدٌ مِنَ المَلكوُتِ قُـدْسىُّ
بعطرٍ مِّن عطور الخُلْد فاغِى العَـرْفِ مَمْزُوُجُ
أجـادتْ رسْمَـها بِدَعٌ : فـتَخْطيطٌ وتَضْـرِيجٌ
وصِـــبْغٌ مِن دمـــاءِ الوَرْدِ قـــانٍ كلُّـه غَىٌّ
وَرَفَّتْ فـــتنةٌ لما كـــسَــاها لَـوْنَهُ « الرُّوجُ»

وثغرٌ كالشَّذَا النَّفَّاحِ بينَ خمائلِ العطرِ
كئوسٌ ملؤُهَا خَمْرٌ ولكنْ ليس كالخَمْرِ
منَ الفِرْدَوْسِ كَرْمَتُها عناقيدٌ منَ السِّحْرِ
وفى حاناتهِ عُصِرَتْ بأيدى الخُرَّدِ الحُورِ
فليستْ غيرَ أنفاسِ الشَّذَا وعُصارةِ النُّورِ
وطَعْمٍ من طُعُومِ الخُلْدِ ما فيه سِوى الطُّهْرِ
يُخَلِّفُ كلَّ مَنْ يهفو إليه شِبْهَ مَسْحُورِ

***

وصوتٌ ناعمٌ ضَحِكَاتُهُ فِضِّيَّةُ الجَرْسِ
لها في النفسِ أصداءٌ تموجُ لها مُنَى النَّفْسِ
وبين شِفَاهِها نَغَمٌ له فى القَلْبِ كالهَمْسِ
ولحنٌ أَسْمَهَانِيٌّ له في الحِسِّ تَخْدِيرُ
عليه من هُيَامِ الحُبِّ إحساسٌ وتَعْبِيرُ
ونايٌ منْ ضِفَافِ السِّحْرِ يسكبُ رَقْصةَ الفَلْسِ

بَهِيمُ عليه مَنْ يُصْغِي إليه وَهْوَ مَسْحُورُ

***

عيونٌ كالسَّنا الوَسْنانِ .. أحلامٌ وإغفاءُ
عليها منْ صفاءِ النَّبعِ أطيافٌ وأضواءُ
وفي نَظَرَاتِها السَّجْواءِ أسرارٌ وأنباءُ
عليها من ظلالِ النُّور بالأهْدَابِ أسْتار
مَزِيجٌ كله فِتَنٌ ، فأظلالٌ وأنوارُ
قراتُ بها سطورًا كُلُّها غَيٌّ وإغراءُ
ولم تُكْشَفْ لقلبي من طَلاَسِمِهِنَّ أسرارُ

***

وشَعْرٌ كانسيابِ النهرِ بين الأيْكِ والظِّلِّ
عليه منْ سَنَا الآصالِ ألوانٌ بلا مِثْلِ
كأبدعِ ما رأتْ عينانِ أو ما مَرَّ في عَقْلِ
أجادَتْه يدٌ للفنِّ تَسْريحًا وتَصفيفَا

تُؤَلِّفُ من جـدائله فنونَ السِّحْر تأليـفًا
لتكْسُوَ وَجْهَهَا الفتانَ أطيافًا من الدَّلِّ
وسحرًا من لَدُنْ «هارُوتَ» بِدْعًا ليس مألوفا

***

وجِيدٌ صاغه الرحمنُ للإبداعِ تمثالاً
أقامَتْهُ يدٌ، سبحانَها، نُبْلاً وإجلالاً
وأضفَتْ فوقه عِزًا يُذلُّ القلبَ إذلالا
عليه من تفاريقِ السَّنا جُمَّاعُ لألائهْ
وَعِقْدٌ من لظَى الياقوتِ فى مشبوبِ أضوائهْ
تَوَهَّجَ حوله فانْتَرَّ نيرانًا وأظلالا
أضافتْ من طيوف الفَنِّ إغراءً لإغرائهْ

***

وصدرٌ فوقه لُجَجٌ من الإغواء والطُّهْرِ
أذاقَتْنِي الهُدَى والغَيَّ فى الرُّمَّانِ والزَّهْرِ

أرَتْنى اللهَ والشيطانَ فى محْرَابها المُغْرى

خَشَعتُ لها وبى لَهَبٌ يحيلُ الطُّهْرَ كُفرَانا

وظلٌّ من جنَان الله يَكْسُو الكُفْرِ إيمانًا

كأنِّى خَمْرةُ الرُّهْبان فى تَسْبيحَةِ الفَجْرِ

تَساقَوْها لدى المحرابِ جَنَّاتٍ ونيرَانا

***

وأيْدٍ من نقِّى العاج يحلُو فوقَها اللَّثْمُ

نواعمُ كالأفاعِى البِيضِ لكنْ ما لها سُمُّ

عرفتُ اللمسَةَ الأولي بها ، وحلاَ لىَ الحُلْمُ!

أصابُعها انبعاثُ النورِ بينَ مَفَاتنِ الشَّرْقِ

على أظفارها « المَنكيرُ» يَكْسُوهُنَّ فى رفقْ

إذا أوْمَتْ بها ضَجَّ الخيالُ وعَرْبَدَ الوَهْمُ

وذبتُ على أناملِها شفاهًا من لظَى الشَّوْقِ

***

وجـــسمٌ جَنَّةٌ قــد رُدَّ عـنهــا كلُّ مُـــرْتَادِ
حــرامٌ أن يَفِيء لظِلِّهــا حَـرَّانُ أو صَــادِى
هيــاكلُ حُــرِّمتْ ساحــاتُهــا إلا لعُبَّــادِ
أذابُوا العمـرَ فى محرابهـا فى الوَجْد والحُبِّ
وأفْنَوْا ذاتَهُـم فى ذاتهــا .. قلبــان فى قلْبِ
وقـفتُ على عـبـادَتِه تسابِيـحى وإنشـادى
وإنى أولُ الجــــانـينَ منه زَهْـرَةَ القُــرْبِ

***

وسيـقــانٌ يُوَدُّ المرءُ لو سـارتْ علـى قلبـهِ
كذَوْبِ النُّور فى البَلُّور، ماأصفى سَنَا ذَوْبِه!
تكاد تُبِينُ مـا يُخْفـيه سـترُ النور في حـجْبـه
أحَـسَّتْ أنهــا لـلناس إغـــراءٌ وإغــواءُ
فـأظْهَـرَتِ الهَـوَى والغيَّ أجـزاءٌ وأجـزاءُ
تراجَعَ فوقها «الفسـتانُ» فهو يَذُوبُ منْ حبِّه

ويَحْكي عن مفاتنها حديثًا فيه أنباءُ!

***

وكنتِ كدُمية الفنَّان سوَّاها بإبداعه
عرفتُ بكِ الجمالَ النضرفي مصقُولِ أوضاعهْ
وشِمْتُكِ عالَمًا فياضَ أرجاءٍ بإمتاعهْ
أُرَوِّى عالمي الظمآنَ من يَنْبُوعه العَذْبِ
وأغْرقُ فيه أشجانى وأنْسَى شقوةَ القلب
وأمضي فى طريقِ الحُبِّ أشدُو خيرَ أسْجاعهْ
وأحْمَدُ مَنْ هَدَى جَذْبى إلى فردوسك الخِصْبِ

***

وكنتِ كطائرٍ فى الروضِ من غُصْنٍ إلى غُصْنِ
يُرَفْرِفُ فى خمائله رشيقَ الدَّلِّ والحسنِ
ويَسْكُبُ للسَّنا الدفَّاقِ فيها أبهَجَ اللَّحْنِ
وكنتُ بُعشِّيَ المُغْبَرِّ لا ظلٌّ ولا عطرُ

نداء القمم

ولا إلفٌ يغـيبٌ بقـربه الإقـفـارُ والقُـرُّ
وحـيـدًا عُـشُّـه ما فـيـه غـيـر الهمّ والحُـزْنِ
وأيامٍ مـضتْ لا شـيءَ : لا حُبٌّ ولا شِـعْرُ

***

رأيتُكِ فـاستـحـالَ الكونُ في عينيَّ أضـواءَ
تألَّق لـلغـريبِ بقـفـرةِ الحِـرْمـانِ لألاءَ
وتكْشِفُ عن دروبِ العُـمْرِ إقـفارًا وإدجـاءَ
وَرَنَّ حـديثُكِ المسكـوبُ فى أُذُنَىَّ تغـريدًا
سـمـعتُ به غناءَ الحُـور ترجـيـعًـا وترديدًا
ومـاجَ الكونُ فى سَـمْعِى أغـاريدًا وأصـداء
قُذِبْتُ لدى جـلالِ الحُبِّ تسبـيحًا وتوحـيدًا

***

عَشِـقْتُ البهجةَ المِـمْرَاح فى أعطافكِ السَّكْرَى
وهِمتُ بعطركِ النَّـفاح فى أنفـاسِكِ الحَـرَّى

يضوعُ أريُجه المشبوبُ لا طِيبًا ولا عِطرًا
ولكنْ نارَ أنثى أشعَلَتْ جِسْمى وأعصابى
وأذكَتْ فى دِمى أقباسَ أشواقى وآرابى
سكِرتُ كأننى أُسقِيتُ من إبريقهَا خَمْرا
ورحتُ تُهَيِّئُ الآمالُ أقداحى وأكوابى!

***

تركتُ العزلة الخرساءَ واستقبلتُ إيامى
وأسلمتُ الجناحَ لعالمٍ بالنُّورِ بَسَّامِ
أردِّد فى أشعَّته أغاريدى وأنغامى
وآمالاً مَلأنَ القلبَ ألوانًا من السِّحْرِ
سأحيَا للهوى والحُسْن والأنغام والشِّعْرِ
وأنسىَ فى سماءِ الحب أحزانى وآلامى
وأبدأُ صفحةً بالعِطرِ والأضواءِ من عُمْرى

***

شبابٌ كلُّ ما في الروضِ، إغراءٌ على الحبِّ
أريجُ الورد في الأرجاء همسُ الصبِّ للصبِّ
وأطيافُ السنا والظلِّ في دلٍّ وفي عُجْبِ
ودنيا من جمالٍ ضاحكِ القَسَماتِ وَضّاءِ
وإشراقٌ يَفيضُ على الربى ألوانَ إغراءِ
وعند المقعدِ المُزْدَان بالأزهار والعُشْبِ
خلا طيرانِ للآمالِ في نَجْوَى وإصْغَاءِ

***

يَصوغانِ الحياةَ كما يراها الحبُّ أصداحَا
ويبتسمانِ للأيام آمالاً وأفراحا
ويَغْتَرِفان من خَمْرِ الهوى الحمراءِ أقداحَا
هناءٌ لم يُتَحْ إلا لمشتاقَيْن في الخُلْدِ
عرفنا فيه دُنْيَا النورِ والأنغامِ والوَرْدِ
وعشنا ما عَرَفْنَا في الليالي البيضِ أتْرَاحَا

ولم نحفلْ بما تأتى به الأيامُ أو تُبدِى

***

نَسِينَا الغيبَ لم نَحفلْ بما تُخفيه دُنيانَا
وعشْنَا اليوم لم نَذكُرْ غدًا والحبُّ يَرْعانا
فما المستقبل المجهولُ ؟ كل حياتكَ الآنا
فلا تَذكُر همومًا لم تَلُحْ فى أُفق أيامك
وعشْ فى سَكرةٍ لا تَستَفِقْ من طيب أحلامكْ
وزِدْ فى العمر أيامًا ولا تُذهِبهُ أحزانًا
تَمَتَّعْ بالربيعِ الطَّلقِ قبلَ شتاءِ أعوامكْ!

***

نداء القمم

غُيُومٌ

كلمــا أشـرقَ فى نفــسى رجـاءْ

حَـجَّبَتْ وجـهَ الرجـاء السُّحُبُ

وإذا لاحتْ حــواشٍ من ضـيــاءْ

أسـرعتْ فـوق الحـواشى حُجُبُ

***

عالَمٌ فى النـفس جياشٌ صَـخُوبْ

كلُّ مــا فـيـه مـن الموج اضطربْ

هيَّـــجَـتْـه فى دياجيــرِ الخُطُوبْ

عـاصفٌ فـيـهـا من الجنِّ غـضَبْ

زورقى في جَـوِّه العــاتى غـريبْ

ضـلَّ لم يَـلْق لـه شطـا قَـــرُبْ

أســرَع الليلُ إليــه فــاحْتَــجبْ
ورنا مَــلاَّحــهُ نحــو الـغُيــوبْ
يستشفُّ النورَ من خلف الحُجُبْ
قـد طوى آمالَه البـحـرُ الغَضُـوبْ
وانحنى الموج عليــهــا ينْتَــحبْ
هَتَـفَ الملاَّحُ بالجـــوِّ الكئــيبْ
ومـضى يستـعطفُ البحـرَ اللَّجِبْ
ضَلَّت الأصواتُ ، لم تَلْقَ المجيبْ
غـيـرَ صـوتٍ من فـؤادٍ مُكْتَئِبْ :
كلمــا أشـرقَ فى نفــسى رجـاءْ
حـجَّبَتْ وجـهَ الرجـاء السُّحُبُ
وإذا لاحتْ حــواشٍ من ضـيــاءْ
أسـرعتْ فـوق الحـواشى حُـجُبُ

***

مـوكبُ الآمـال غَـشَّـتْـه الغـيـومْ
أنا منهـا في وهادٍ وقِـمَمْ
جَـذَبَتْني للذرى فـوق النجـومْ
وهوتْ بى فى حـضـيضٍ وظُلَمْ
لم أعُـد أعلمُ فى لَيْلِى البَـهـيمْ
أىَّ دربىَّ ستَـغْـشَاهُ القَـدَمْ؟!
أطريـقَ السفـحِ للخلدِ المقـيم
أم طريقَ السفح يَهْوِى للعَـدَمْ؟!
كم تَبَـدَّى لى طريقٌ مسـتـقـيمْ
فـإذا مـا جـئْـتُـه لم يَسْـتَـقِمْ
وقف الركبُ وغـشَّـاه الـوجـومْ
وطوى الحـادىَ فى السـفح السَّأمْ
ليس يَـعنينى من الـدنيـا هَشِـيمْ
وجـراحِى لـيس يَعْنِيـهـا الألم

أفقَدَتْ نفسى فُجَاءَاتُ الهمومْ
كلَّ ما قد كان فيها من قِيَم
كلما أشرقَ فى نفسى رجاءْ
حَجَّبتْ وجه الرجاء السُّحُبُ
وإذا لاحتْ حواشٍ من ضياءْ
أسرعت فوق الحواشى حُجُبُ
خَيَّلَتْ لى النفسُ فى دربى الطويلْ
أنَّ بعد اليأس إشراقَ الأملْ
أملٌ خَفَّفَ من عِبْئ الثقيلْ
فى طريق من شقاءٍ مُتَّصِلْ
واحتى الخضراءُ فى أقصى السبيلْ
عن رُباها عاصفُ الدهر غَفَلْ
عندها أنفُضُ فى الظلِّ الظليلْ
كلَّ ما عاناه قلبى واحْتَمَلْ

سوف يُرْوِى نبعُها مِنِّى الغليلْ
ولهيبًا بين أيامى اشتعلْ
صورةٌ في النفس من وَهْم جَميلْ
مُحِيتَ منها ولَمَّا تكْتَمِل
ومضى الحائرُ فى قفرٍ ضَلُولْ
يسحبُ اليأسَ ويَحْدُوه المَلل
ويُغَنِّى النورَ ، والنورُ يزول
وبَجَنْبِيهْ ضياءٌ قد أفُلْ :
كلما أشرق فى نفسى رجاءٌ
حجَّبت وجهَ الرجاء السُّحُبُ
وإذا لاحتْ حواشٍ من ضياء
أسرعتْ فوق الحواشى حُجُبُ

***

كما تَمَنَّيْتُ على الدهر السرورْ

فـســقـانى من ليــاليــه الكَدَرْ

وسألتُ الـوردَ فى الروض العبـيرْ

فـحـبـانى باللهـيـبِ المُسْتَـعِـرْ

وارتقبتُ الأفقَ فى صبحٍ منيـر

فـتـغـشّاهُ ضـبـابٌ مُعْـتكِرْ

فـإذا الآمـالُ فى الدنيـا غُـرورْ

وخـيــالٌ دونه يَفْنَى العُــمُــرْ

طائـرٌ خلف أمـــانيــه يطـيــرْ

فـإذا كَلَّ جَـنَاحـاه اسـتــقــرْ

وَهْوَ إنْ حَـلَّقَ فى أعلـى الأثيــرْ

سوف يدعوه إلـى الأرضِ الشَّجَرْ

خَلِّ دنيـاكَ كـمـا سـارتْ تسيـرْ

وامضِ فيـها مثلمـا يَمْضى البـشرْ

واتركِ الآمــالَ فـالـدَّرْبُ يدور

حيثُما صَعَّدْتَ فيه تَنْحَدِرْ!

كلما أشرق فى نفسى رجاءْ
حجَّبت وجهَ الرجاء السّحُبُ
وإذا لاحتْ حواشٍ من ضياءْ
أسرعتْ فوق الحواشى حُجُبُ

***

وإذا افترَّ مع الصبح الضياءْ
بعد لَيْلٍ من غيومٍ وسُحُبْ
وعلى الأفق تباشير الرجاءْ
أشرقت بعد احتجابٍ مُكْتَئِبْ
وتبدَّى الشرقُ فى أبْهَى رواءْ
يفتنُ العين بمرآه العَجَبْ
وينابيعُ السنا ملءَ السماءْ
فُجِّرَتْ فهى ضياءٌ يَنْسكِبُ

وصحــا الكونُ على أحلى غناءْ
يتلقّى من مـعــانيـهِ الطربْ
لاحَ لى وحدى مع الصبح المَساءْ
واحتوتنى فى الدياجيرِ الحُجُبْ
وترآءى فى السنا معنى الفَنَاءْ
كلُّ معنىً من معانىً اضطربْ
يتهاوَى مثلَ أوراقِ الشتاءْ
نَفَضتّها الريحُ فى جوٍّ صَخِبْ
كلمــا أشرق في نفسى رجاءْ
حجَّبتْ وجهَ الرجاء السُّحُبُ
وإذا لاحت حــواشٍ من ضيــاءْ
أسرعتْ فوق الحواشي حُجُبُ

حُطامُ مَعانٍ

بَعُـــدَ الركبُ عن سناكِ ، وألقتْ

بطريقى مع الدجى الأقـــدارُ

جَرَفَتْنى الحياةُ في موجها العا

تى ، وغشَّى شبابَى التيَّارُ

ومضى العمر ساعةً من كفاحٍ

وسِنُو العمر في الكفاح قِصارُ

أغْمِضَت عن هواك عيناى لما

حَجَّبتِنى عن السَّنا أستارُ

ونأت بى عن معبد الحُبِّ أحدا

ث ، وحالتْ دون الهوى أعذارُ

فنسيتُ الصلاة فى الهيكل الظا
مى ، فلا خَلْوَة ، ولا استغفار
ونسيتُ التسبيحَ فى صحْوة الفجـ
ـر ، وللشمس فى الكُوى أنوار
ونسيت السجودَ في ساحة العَرْ
ش ، وللدمع مِنْ عيونى انهمارُ
سِرتُ في زحمة الحياة مع النا
سِ ... طريقٌ أسيرُه حيثُ ساروا
وجموعٌ محشودةٌ لرحيل
فى بوادٍ تَحُفُّها أسرارُ
يَزْحَمُون الطريقَ في واحةِ قفـ
ـرٍ إلى رَمْلِها يكون المَزار
كلهمْ عابرٌ سبيلاً إلى البيـ
ـدِ ، ففيم اختلافُهُم والشِّجَارُ ؟!

رحلةٌ كلها لهيبٌ وشوكٌ
وأفاعٍ وظُلمةٌ وقِفارُ
جرفتْهمْ شِعابُها لسرابٍ
تترامى لنُورِه الأبصارُ
لمعتْ فى سناه دفقُهُ ينبُو
عٍ ولاحت فى ظلّه أشجارُ
فإذا هم يهْوُون للأملِ البرَّا
قِ تُطوى منْ دونه أعمارُ
آه من هذه الحياةِ ! طريقٌ
كلُّ ما فيه وَقْدةٌ وأوارُ!

***

سرتُ فى الرَّكب ، لا الطريقُ طريقى
حيثُ أمضِى ، ولا القرارُ قرارُ
تائهًا فى الزَّحام لم ألق شيئًا
أشتهيه ، ولا هناك اختيارُ

إنما عـــالَمٌ تشـــابـه مـــا فـــيـــ

ـــه ، عليك المســـيـــر والإقـــرارُ

لستَ حــــرّاً ، لكنَّ دهرك حُــــرٌّ

أنتَ تَمْـــضِي ودهـرك الأمَّـــارُ!

***

ســــرتُ في الركبِ ، كم تألّق لي النُّو

رُ بعـــيـــداً وكم بدتْ لي نارُ

خـيِّلتْ لي الأوهامُ دنيـا من البِـشـ

ـر وعُـمْـراً نعـيـمُـه زخّـار

وحـيـاةً في مـعـبـدي ليس يَفْنى

من تـسابـيـحـهـا صـدىً دوّار

سـوف تَمْـضِي وربَّتي فـوق عـرْش الـ

حُـبِّ تُزْجَى لنورها الأشـعـارُ

ومِن العـابـدِ المُطيعِ سُـجُـودٌ

عند أقـدامِـهـا .. هـوىً قـهّـارُ !

آه لو عـــدتِ يا إلَهـــةَ حُـــبى

حـيثُ مـحـرابُ حُـبِّنا الغـفـارُ !

***

دَفَـعَـتْنى الجـموعُ فى الموكبِ الصخْـا

ب وانســابَ ركـبُـهـا الهـدّارُ

ومـضى بـى الزِّحـامُ حَـيْثُ مـضـى بالـ

ـناس .. مـالى عَلَى الزحـامِ اقـتـدارُ

ســرتُ فـي هامشِ الطريـقِ ، ومَـرُّوا

مـثلمـا مَـرَّ جَـحْـفَـلٌ جَـرَّار

مـوكبٌ كـله ضـجـيجٌ وأصـوا

تٌ ومِنْ حـولـهم يثـورُ الغُـبَـارُ

وعليـهـم يُرَفْـرِفُ الـعـدرُ والحِـقـ

ـدُ .. ضَـبَـابٌ من الشـرور مُـثَـارُ

سَـخِـرُوا مِنْ بَـرَاءَتى ودَعَـونـى

أنْ أثيـرَ الـغُـبَـارَ حـيـثُ أثاروا

وتلَفَّتُّ ، ثم أغـــمـــضتُ عَـــيْنِى
وبـــقــلـــبـــى ممـــا رأتْ إنـــكــارُ
كَـــرِهَتْ رُوحِىَ الـزِّحـــامَ وصـــاحتْ
بى : إلى مَـــعْـــبـــدى يكونُ الـفِـــرَارُ
فلَـوَيْتُ الـطريـقَ للـمـــعـــبـــد الـنا
ئى ، وفـى القـلـب وَجْـــدُه المســـتـطارُ

***

ســـرتُ فـى دَرْبِىَ الطـويلِ غـــريـبًـــا
شَطَّ عـن مـــعـــبـــدى وركـــبى المَزَارُ
أسْـــتَـــبِينُ الـطريقَ غـــادره الركـــ
ـــبُ ، فـــأيـن الأعـــلامُ والآثـارُ ؟!
دَفَنَتْـــهـــا الرياحُ تســـفى من القـــفـــ
ـــد وضـــاعتْ فى تيـهـــهـــا الأخـــبـــار
ومـضتْ بِى الصـــحـراءُ ، لا الدَّرْبُ يُبْدِى
غـــايةً ينتـــهِى إليـــهـــا المَسَـــارُ

نـداء القمم

لا ، ولا المعبدُ الحبيب تبدَّتْ
منه أضواؤه ولاحَ المَنار
إنما صفحة من الرمل جردا
ءُ سَواءٌ دُروبُها والقِفار
نَسَجَ الليلُ فوقها ظُلُمات
وتَعَاوَى في رَحْبِها إعصارُ
واحتواها بِقُرِّه نَفْحُ ليلٍ
أُطفِئتْ ناره ومات الشَّرار
وبنفسى غيرُمها ودجاها
وبرأسى من الضَّلال دُوَار
وبعينى من الظلام تَهَاوِيـ
ـلُ وأشباحُ جِنَّة أشرارُ
ملئوا حولَى الشعابَ وسَدُّو
ها ، وضاقتْ مِنْ حولىَ الأقطارُ

وتهــــاوتْ عــــزائمى ، وأمـــــامى

أُمْنِيَـــــاتى رأيتُــــهـــا تَنْهَـــــارُ

وهوتْ بى الدنيــا عـلى صخـرةِ اليـأ

سِ وطــاحـــتْ بـــرأســـيَ الأفــكـــارُ

آهِ يا مـعـــبدِى الحـبـيبُ مضى العــمــ

ــرَ ســــرابًا طريقـــــهُ غَـــرَّار !

ظَلَّلَتْنِى الآمـــــالُ في مـــوكب الـ

ــدنيـــا وأوْدَى بِخَطْىَ المقــــدارُ

جَــــــذبَتْنِى المُنَى إلي كـل طَـوْدِ

فــإذا غـــايةُ الصــعـــود انحـــدارُ !

آهِ لو عـــدتُ في حـمـــاكَ لتُـجْلى

عن شـــبـــابى الهــمــومُ والأكـــدار !

ليـــتنى مـــا تركـتُ مـحــرابكَ القُــدْ

سِيَّ حــيثُ الرضـــا والاســـتـقـــرارُ!

وتراءتْ أمام عينيَّ دنيا
قد تولَّى نعيمُها المدرار

وتوالتْ عليَّ أطيافُها البِيـ
ـضُ .. صفاءٌ من الخلود مُعَار

فكأنى مع الصباحِ غِناءٌ
سَلسَلَتْهُ مع السَّنا الأطيارُ

وكأنِّى مع الضُّحى خَفَقَاتٌ
من فَرَاشٍ آثاره نُوَّار

وكأنى مع النهار حياةٌ
دَفَقَتْهَا من السَّنا أنهارُ

وكأنى مع الأصيلِ نسيمٌ
ضَمَّخَتْهُ بِعَرْفِها الأزهار

وكأنى مع المساء غرامٌ
هَيَّأتْهُ لطيرها الأوكار

وكـــأني مع الـدجى هَـمَـــسَـــاتٌ

من نجـــومٍ طـابتْ لهـــا الأســـمـــار

صُـورٌ للشـبـابِ يَمْـضِـي كـمـا نَهْـ

ـــوَى ونـلقَـى منـه الذى نـخـــتـــارُ

يـومَ كـــان الـزمـــانُ مَنْـهَـلَ أفـــرا

حٍ إليــــه الإيـرادُ والإصـــــدارُ

لَمَـــعَتْ فـى الحـيـــاة أحْـــلامَ طِـفلٍ

هَــدْهَـدَتْــهُ مـــــلائكٌ أبـــرار

لـم تدم غـــيــــرَ لمحـــةٍ وتولَّـتْ

جَــرَفَـــتْــهـــا فى لُـجِّــهـــا الأعْـــمَـــارُ

وخـــلا مـن ضـــيـــائه الأفُـقُ الـــ

ــزاهـى ولم يَـأتَلِـقْ عـلـيـــه نهـــارُ

وتَـلَـفَّـــتُّ فـى ظـلامٍ مـن اليــــأ

سٍ ، وبالـنفسِ مـن دُجَــاهـا انهـيـــار

نداء القمم

عشت يا حبُّ في حماكَ ليالي

وولىَّ زماني المختار

كم تَخَشَّعْتُ في رحابكَ يا حبُّ

وللنفسِ بالخشوع افتخار

فإذا ما ارتَمَيْتُ في لُجةِ القفـ

ـرِ تخلَّى دليلُكَ الغدَّار ؟!

***

ومِنَ الظُّلمةِ الكئيبةِ لاحتْ

ومضةٌ عُلِّقَت بها الأنظار

هي تبدو وتختفي ، وبِجَنْبي

خافقٌ هزَّه إليهما انتظار

شُقَّ سِتْرُ الدجى وأشرقَ نورٌ

مثلما تكشفُ الدجى الأسحارُ

وبدا الحبُّ في غلائلَ بيضٍ

نَسَجَتْها من نورها الأقمار

حَمَلَتْهُ غَمَامَةٌ من روابيـ

ـهِ عليها من الضِّياء سِوَارُ

يحملُ القوسَ والسِّهام بيُسْرَا

هُ وفي حَمْلها بدا استهتارُ

وبِيُمْنَاه مَشْعَلٌ يَتَلَظَّى

تتَجلَّى عن وجهه الأسرارُ

هتفَ الحبُّ فاستفاقتْ أمانٍ

وزالتْ عن ناظري الأستار

وبدا المعبدُ البعيدُ قريبًا

ليس فيه إلا الدُّجى والدَّمارُ !

غارقًا في الظلام لولا بَقَايا

من ضياءٍ يَشُوبُها إنكار

وَمَضَاتٌ منَ الكُوَى يتأرْجَحْـ

ـنَ عليهنَّ ظلمةٌ واصفرارُ

شـمـعـة أُطفِـئَتْ ، وأخـرى سَنَاها
يَتَـهَـاوَى ، فـوحـشـةٌ واحـتـضـارُ
والقناديـلُ حَطَّمَـتْـهـا الدياجى
نُورُها لـم يَعُـدْ لـه إصـرار
والظلالُ السـوداءُ يَـخْـفَى جِـدَارٌ
منَ خَـيَـلاَتِهـا ، ويَبْـدُو جِـدَارٌ
هاجـعًـا فى سكونه ، لا صـلاةٌ
فى مـحـاريبِـه ولا أذكـار
خَـيَّمَ الصـمتُ فـوقـه كـحـديث
فـرَغتْ من ذُيوله السُّـمَّـارُ
وأفَـاضَ الفـراغُ فـيـه تهـاويـ
ـلَ وغَـشَّى سـاحـاتِه إقـفـارُ
وعـلـيـه من الكآبة أطيـا
فٌ فـلا بهـجـةٌ ولا اسـتـبـشـارُ

ووجـــومٌ كـــأنما في مـــغـــانيـــ

ـــهِ أفـــاضتْ همـــومَـــهـــا الأدهارُ

وغـــبـــارٌ أخـــفَى مـــعـــالِمـــه البيـــ

ـــضَ وحلَّت مـــحلَّهـــا أكـــدارُ

تَـخِـــذَ البـــومُ منْ مَنَارتـه وَكْـــ

ـــراً وضَـــمَّتْ غِـــربانَهـــا الأســـوارُ

ومن العنكبـــوتِ فى كل ركْنٍ

مـــا كـــســـاه مع الليـــالى الغُـــبَـــارُ

لاترى العين فـــيـــه غـــيـــرَ خـــرابِ

تحـــتـــويه فى قُـــرِّها أحْـــجَـــارُ

وسُـــجُـــوفُ الحـــريرِ أودتْ بهـــا الريـــ

ـــحُ وأبْلَت بيـــاضَـــهـــا الأوضـــار

وعلي البـــابِ والنوافِـــذِ منهـــا

مِـــزَقٌ للبِلَى بهـــا استـــنـــشـــارُ

والكؤوسُ التى شَربْنَا سَنَاهُنَّ

وللنُّورِ فى الدياجى افتِرَارُ

ليس فيهنَّ غير أشلاء نُورٍ

أفْرَغَتْها من بَعْدنا كُفَّار

وعلى العَرْشِ عالَمٌ من معانٍ

ضاع منها جَلالها والوَقَار

حُجِبَ الطهرُ والصفاء ولاحتْ

فى حِماه الآثامُ والأوْزَارُ

وتَولَّتْ بشاشةٌ كنت أهوا

ها ومنْ خلفها بدا استكبارُ

وتهاوتْ براءةٌ، وتَعَاوَتْ

صارخاتٌ حديثهُنَّ احمرارُ

ومنَ الروح جَنَّةٌ قد تلاشتْ

ومن الجسم قد تَلَظَّى سُعَار

وصلاةُ الأشعار أفنَى صداها

ما روَاهُ مِنَ الرنين النُّضارُ

نَطَقَ الأصفرُ المُبِنُ ، وكَفَّتْ

عن ترانيمِ حُبِّها الأوتارُ!

***

وتَلَفَّتُّ في دمى حسراتٌ

وبَعَينِي من الدموعِ غِزَارُ

أين وَلَّتْ إلهتى ؟ أين وجهٌ

لسناه الإجلالُ والإكبار ؟

كَشَفَ الحبُّ عن ستارِ فأبدى

عن بقايا مِنَ الحُطَام السُّتَارُ

خارجَ المعبد المُخَرَّبِ لاحتْ

هُوَّةٌ ما يَبِينُ منها قرار

كَمَنَ الموتُ في جوانبها السُّو

دِ ، ومِنْ دون قاعها أخطارُ

ضَرَبَ الشوكُ حولها بسياجٍ

وأثارتْ صِلالَها الأحجارُ

وعلى جُرْفِها تعاوت ذئابٌ

فتعاوت برجعها الأغوار

مرحتْ في رحابها ، واستطالتْ

في دُجاها الأنيابُ والأظفار

وقفتْ بينها الإلهةُ تلهو

وإلى هُوَّةِ الردى أشبار

غفلَتْ عن حُبالةِ نصبوها

ومن اللهو غفلةٌ وبوارُ

وجدوا في شبابها صيدَ ليلٍ

تتشهَّى رحيقَهُ الأوطارُ

أخرجوها من معبدي بابتسامٍ

ضاق عنه قناعُه المُستعارُ

خدعوها عن الطريق وساروا

في خشوعٍ وكلهم فُجّار

يبتغون الحضيضَ حيثُ الأفاعى

حيثُ دنيا الظلامِ حيثُ الدمارُ

وعلى الهوّة السحيقة إغراَ

ءُ بأنْ فى الحضيض تَحْلُو الثِّمارُ

خُطوَة بينها وبين التَّرَدّى

آهِ لو حالَ دُونَهَا المِقْدَارُ!

***

احذرى يا آلهتى واسْتَبِينى

كيف يَمضى بركبك التَيَّارُ

واتركى جُرْفَهُم بعيداً وعُودِى

شفَّ مِحْرابَ حُبِّنا الانتظارُ

ظَمِئَ المعبدُ الحبيبُ لكأسٍ

منك فى حُبِّك القديم تُدارُ

وعلى الهيكلِ المَشُوقِ غَرَام

للياليك عنده ، وادّكار

ومنَ العَرْش لهفةٌ لشموعٍ

فى ليالى هواكِ منكِ تُنارُ

أقبلى تَبعثى الحياةَ بمَغْنَا

هُ ويرتدَّ للمنى الإنضار

وتزيلى الهمومَ عن عابدٍ عا

نٍ أضَلَّتْ سُرُورَه الأقدارُ

آبَ للحب أوبةَ الخاشعِ الخا

ضعِ فى جنبه إليكِ اعتذار

أقبلى ، يا إلهتى ، فحَرَامٌ

أن تَضِيعَ الأيامُ وَهْىَ قِصَار

أقبلى فالشبابُ يَمْضى سريعًا

ومع العُمْرِ سيفُه البتَّار

غير أنَّ الحياةَ تَخْلُدُ بالحبِّ

ويَبقى حديثُه السَّيَّار

نَجْوَى حَنِينٍ

يا حياتى، قد مضَى الليلُ، وقد ولّىً الشتاءُ
وانجلَى الغيمُ عن الآفاقِ ، وانهلّ الضياءُ
وصَفَتْ للنُّور والإشراق والبِشْرِ السماءُ
وصحا الروضُ ، وماجتْ بشذا الوَرْدِ الجواءُ
وحلا للطير في أغصانه الخُضْرِ الغناءُ
ودعا الإلفَيْن للنجوَى غَرَامٌ ووفاءُ
الربيعُ الطّلْقُ قد عادَ ، وَغنّى الشعراءُ
طافت الدنيا بأكواب تَسَاقَاهَا الظّمَاءُ
مِلؤُها حُبٌّ ، وأفراحٌ ، ونورٌ ، وصَفَاء
فتعالَىْ ، يا مُنَى عمرى ، فقد عاد الرّجَاء
كلُّ ما فى الكون إغراءُ ، وسِحْرٌ ، ونداءُ :
فى ابتسام الورد يحلُو للمُحِبِّينَ اللقاءُ
فتعالىْ يا حياتى!

ياحـيـاتى ، أشـرقَ الفَـجْـرُ ، وقـد ولَّى الظلامُ
وأمانِى الصبح تَصْـحُـو مـثـلما يصحـوُ النّيَامُ
والسنَا الصَّـافى حـيـاةٌ ، وابـتـهـاجٌ ، وسـلامُ
غَـرَّدَ العـصـفـورُ للنُّور ، وناجــاهُ اليَـمَـامُ
وصـحـا العَـبَّادُ ، والـشـمسُ ضـيـاءٌ وضِـرَامُ
عـاشقٌ تُـشْـعِـفُـهُ العينُ ، ويَعْـصِـيـه الكَلاَمُ
حـيَّرَتْه الـشـمسُ ، والـشـمسُ حـبـيبٌ لا يُرَام
فَكَسَـتْـهُ صُـفْـرةَ الحُبِّ ، وأضناه السَّـقَـام
والفراشُ السـاحرُ المسحورُ صَبٌّ مسـتـهامُ
أسَـرتْه فـتـنةُ الـزَّهر ، وأغـراهُ الـهُـيَـام
كلُّ مـا فى الـكون حُبٌّ ، وغـنـاءٌ ، وابتـسـام
فى ائتـلاق النورِ يحـلو للمُـحـبِّينَ الـغـرامُ
فـتـعـالىْ يا حـيـاتِى!

***

كلُّ ما في الكون ، يادنياىَ ، يدعونا إليه
رَوْضُنا قد هَيَّأَ العُشَّ ليلقى طائريه
والنّديُّ الهادىءُ النآئى يُنَادى صاحِبَيْه
والسُّقاةُ بالأزهارِ زانُوا جانِبَيْه
والبَشُوشُ الوجهِ ساقِينا يُرَاعى مقعَدَيْه
وشَرَاب « الشّاى » يُغْرينا لنلقَى شَفَتَيْه
مجلِسٌ بين الكهوفِ الشُّمِّ يدعو عَاشِقَيْه
واعدٌ النّيلُ ، كى يَلْقى خُطانا ، ضِفَّتَيْه
وخَلَتْ ، إلاَّ من العشاقِ ، دنيا شاطئيه
وطريقُ الحبِّ يَدْعُونا لنَنساب عَلَيْه
ويُنَادينَا لنرعَى حُبَّنا بينَ يَدَيْه
ونعيدَ الماضىَ الزاخرَ بالذكرى لَدَيْه
فتعالىْ يا حياتى!

***

نداء القمم

تذكرينَ الماضيَ الحيَّ ، وأيامَ الجزيرَةْ
وغرامًا قد رَعَيْناه ، وخلّدْنا سُطُورَهْ
يشهدُ النيلُ ، لكم شِدْنا على الشطِّ قُصُورَهْ
كم رأى في ضفّتيْه شاعرًا يرعَى أميرَهْ
كم تلاقَيْنا ، وفى الجَنْبَيْن آمالٌ كبيرَهْ
والنجومُ الزُّهْرُ كم كانتْ على الليلِ سمَيرهْ
كم وعتْ من حبِّنا الصاحِى الأقاصيصَ الكثيرهْ!
العِنَادُ الثائرُ الصخَّابُ كم ذقنا سَعِيرهْ
والصفاءُ الهادئُ الوادعُ كم ذقنا سُرُورَهْ
قُبَلاً رقَّتْ عليس الخدَّيْن والثغرِ نَضِيرَهْ
وعناقًا كم تبادلناهُ غِرًّا وغَرِيرَهْ
فأعِيدِيها ، فأيامُ الصِّبا تَمْضِى قَصِيرَهْ
وتعالَىْ يا حياتِى!

***



أقبلِى فالعمرُ ، يا دنياىَ ، أيامٌ قليلَهْ
أنا أخشَى الموتَ أنْ يُرخِيَ من دونِى سُدُولَهْ
وَتضمَّ البيدُ آمالى ، وتَطوِيهِنَّ غِيلَهْ
قبل أن أستقبلَ النَّبْعَ وأيامًا ظَليلَه
ظَمِئَ القلبُ ، وما غيرُكِ يروِى لى غَلِيلَه
فاعيدِى عهدَنا الماضى ، ودُنيانا الجَمِيلَهْ
وزمانًا قد رعيناهُ غرامًا وفَضِيلَهْ
مرَّ كالأحلام قد داعَبْنَ أجفانًا كَحِيلَهْ
في اندفاعاتِ شبابٍ ، وبراءاتِ طُفُولَهْ
كنتُ فيه العاشقَ المُضْنَى ، وقد كنتِ البخيلَهْ
فاملِئ كاسِى بأفراحٍ ، فأعبائِى ثَقِيلَهْ
وانظُرِى عُشبًا لإلفينِ بأحضانِ خَمِيلَهْ
وتعالَىْ يا حياتِى!

***

حَزِينَةٌ

أرأيتِ زَهْرَ الياسَمِينِ إذا تغشَّاهُ الضَّبَابْ؟

وتألقتْ وَجَنَاتهُ البيضاءُ من خلفِ النِّقَابْ؟

وترقرقَ الطلُّ النديُّ عليه كالنُّور المُذَابْ؟

ورنا له الساقِي المَشُوقُ فَردَّهُ عنه الحِجَابْ؟

كم قد سَقَاه من الغَدِيرِ العذبِ دفاقَ الشرابْ

ورَعَته كَفَّاهُ وفي جنبيه آمالٌ عِذَابْ

مَدَّتْ لزَهْرته الظلالَ وكلَّ أسبابِ الشبابْ

أرأيتِ ساقِيَهُ يعودُ ومِلْءَ كَفَّيْهِ السَّراب؟

غَشَّى خميلَتُه ضبابُ الفجر في سترٍ حزينْ

أنا ذلك الساقى المَشُوقُ وأنتِ زهرُ الياسَمِينْ!

***

أرأيتِ من خلفِ الغيومِ البدرَ في ليلِ الشتاءُ؟
حَجَبَتْه حتى لم يَعُدْ إلاَّ ظلالا من ضِيَاءْ
غَشَّتْ ستائرُها الكثيفةُ كلَّ نورٍ في السَّماءَ
وَاستوْحَشَ الساري الغريبُ ومات في فَمِهِ الحُدَاءْ
قد أظلمَ الدَّرْبُ الطويلُ عليهِ واكتأبَ الفضَاءُ
وتَعَاوَت الصحراءُ من حوليه واختلَطَ العُوَاءْ
ظَلَمَتْه ليلتُهُ وأظلمَ بين جَنْبيه الرَّجاء
يرنُو إلى قِطَعِ الغيوم ومِلْءُ نظرتِهِ دُعَاءْ
أرأيتِ وِقْفَتَه على الصحراءِ كالأمَلِ السَّجينْ؟
أنا ذلك السَّارِي الغريبُ وأنتِ لي البدرُ المُبِينْ

***

أنا يا جميلةُ من أساكِ سُقِيتُ من دهري أسَاهْ
أنا آهةٌ في صدرِ محزونٍ يُحَيِّرُها ضنَاهْ
كَثُرَتْ على فجرِي الغيومُ وحَجَّبَتْ عنِّي سَنَاه

لم أرعَ أفراحَ الشروقِ فما رأيتُ سوى دُجَاه
لا تُترعى كأسَ الشبابِ بما تَفيضُ به الحياة
إنى أخافُ على فؤادى أنْ تَثُورَ به لَظَاه
اللحنُ منكِ فإنْ أسيتِ فكيف يُسْعدُنى صَدَاه؟
أنا أنتِ سَوَّأنا الغرامُ كخيرِ ما سوَّتْ يَدَاهْ
إنْ تَسْعَدِى أسْعَدْ ، وأشقَى إن تُلمَّ بكِ الشُّجُونْ
أنا فى يديكِ فكيفَ شئتِ وما أمرتِ به يكُونْ

***

لِمَ يا جميلةُ فى صباحِ العمرِ أحزانُ الغروبْ ؟!
ألقِى أسى الدُّنيا بعيداً وانفُضِى عنكِ الخُطُوبْ
وارعَىْ شبابكِ ، لا تُضيعيه على سُودِ الدُّروب
وتَنَقَّلِى تحتَ السنا الدفَّاقِ فى أُفقٍ رَحيب
ألقَى الصبَا فى وجنتيكِ نضارةَ الوَرْدِ الرطيبْ
وعلى العيونِ تَألُّقَ الأضواءِ فى صبحٍ طَرُوب

وعلى الشفاهِ تَوَهَّجَ الجَمَرَاتِ من خلفِ اللهيبْ

فدَعِي الغدَ المحجوبَ لا تَشْغلكِ أستارُ الغُيُوبِ

بين الرياضِ الزُّهْرِ نبنى عُشَّنا فوقَ الغَصُونْ

تَفْنَى الليالى حَوْلَنَا ، وغرامُنا باقٍ متينْ

***

شَيْطانتي تَنْفُثُ السِّحْرْ

قامتْ ، وفي قلبي   آهاتُ مجروحِ
وثَوْرةُ العَشْبِ   في مهجتي تُوحِي :
« دع فتنةَ الحُبِّ   وعشْ بلا رُوحِ »
ويلاهُ ! ما ذَنْبِي ؟   أشقَى بتبريحي؟!
يا ربَّتي لُوحِي   للعابدِ الصَّبِّ
يا فتنةَ الرُوحِ

***

قامتْ ، وفي صدري   من صَدِّها ما بي
وقسوةُ الهجرِ   تزيدُ أوصابي
وغَضْبتي تُغْري   بهجرِ أحبابي
لو كان لِي أمري   حَطَّمْتُ أكوابِي

لكنَّ أسبابى   لربَّةِ السِّحْرِ

إليك يا رُوحِي

***

قامتْ ، وفى نفسِي   ثوراتُ أحزانِ

تصيحُ في حِسِّى   ومِلْءِ وجدانِى :

« لا تَحْيَ في اليأسِ   وانفُضْ هَوَى نَانِى

واسكبْ طِلاَ الكأسِ   فى بحرِ نسيان »

لا ، لَستُ بالجانى   فإنها أنسِى

وإنها رُوحِي

***

عيناكِ ! يَاوَيْلِي   من سِحْرِ عَيْنَيْكِ !

سناهما يُمْلِي   علىَّ شَرْطَيْكِ :

« لا تُصغْ لِلعَقْلِ »   نانِى حَنَانَيْكِ !

« واسمعْ إلى قولى »   يآنانِ لَبَّيْكِ !

لـكــنْ عــلــى الأيْـكِ		شـــــــادٍ بـلا ظـلٍّ

واسيهِ يا روحي

***

شـــيطانتي قـــامتْ		لِتَنْفُثَ السِّـــحْـــراَ

ومــــهــجـــتي هَامَتْ		في حـــيـــرةٍ كُـــبرَى

ومـــقلتي غَـــامَتْ		من عـــبـــرةٍ حَـــرَّى

وغـــضـــبـــتي نَامَتْ		لم تُوقظِ الـهَـــجْـــراَ

ولـم أُطِقْ صَـــبْــــراَ		مِنْ بَـعْـدِ مـــا قـــامتْ

حَبيبَةُ الروحِ

***

والصَّـــحْبُ من حــولي		ضـــجُّـــوا بتَـــعْـــذَالي

والغِـــيـــدُ ، يا ويلي !		يَضْـــحكْـنَ مِنْ حـــالي

وعـــاشـقٌ مِـــثْلي		يَأسى لِبَـلْبَـــــالي

والعـــقلُ في شُـــغلٍ		عن عـــالَـمٍ خـــالِي

نـداء القمم

يا لَيْتَه الصالِي بوَقْدَةِ الدَّلِّ

كَمَا اكْتَوَتْ رُوحِي

***

قد اختفى الحَشْدُ عَنِّى لمرآها

ولم يَعُدْ يبدُو للعينِ إلَّاها

قد حَجَّبَ الوَجْدُ إلا مُحَيَّاها

وثار بى الودُّ: «ألَسْتَ تهوَاهَا ؟

فكيف تَنْسَاها ؟» قدل عادَ لِى الرُّشْدُ

يا فتنةَ الرُّوحِ

***

في حيرةِ الشَّمْع مِن عاصفٍ قاسِ

سَلَّمْتُها سَمْعِي وكلَّ إحساسِى

وعِشْتُ في الجَمْعِ أخْبِسُ أنفاسِى

أصْغِى إلي نَبْعِ فى السَّحر جَوَّاسِ

والعينُ كالكاسِ تَفِيضُ بالدَّمعِ

يا لَوْعَةَ الرُّوحِ

***

حديثُها الحانِي ينسابُ في قلبي

يَمْضِي بأحزانِي لعالَمِ الغَيْبِ

فأَسْعِدِي العانِي بصوتِكِ العَذْبِ

فَصَدُّكِ الجانِي على مُنَى الحُبِّ

وليس مِنْ ذنبِ في الحُبِّ يا نانِي

يافتنةَ الرُّوحِ

***

أنا الصَّدَى الظامِي وليسَ مِنْ ساقِ

حليفُ آلامِ فأين تِرْيَاقِي؟ !

ضَيَّعْتُ أحلامِي في قَفْرَ أشواقِ

كُونِي لأيامِي رِيِّي وإشراقِي

يا كـــأسَ أشـــواقــى   يــا نُــورَ إلـهـــــامِـى

يا فتنةَ الرُّوحِ

***

روَّى صَـــدَى رُوحِـى   يـا عَـــذْبَةَ الـرُّوحِ

ألـيسَ تَبْـــرِيحى   أشــــدَّ تبـــريحِ؟

فـــأقْـــبِلِى يُوحِى   صـــبـــاكِ مـــا يُوحِى

فـالعـيْنُ لى تُـوحِـى

والخَـدُّ لى يُـوحِـى

والثَّـغْـرُ لى يُـوحِـى

والشَعْـر لى يُـوحِـى

شِـعْـرِى وتَسْـبِـيـحِى   أهـــواكِ يـــا روحِـــى

يا فتنةَ الرُّوحِ

أعاصيرُ ربيعٍ

مثلما ولّتْ أعاصير الشتاءْ — وخلا مِن حُجُب الغَيْم الأُفُق

وصفا الجوُّ لمُنْهَلِّ الضياءْ — واستقرتْ فيه ثَوْراتُ القلَقْ

وَسَرَتْ بالعطرِ أنفاسُ الفضاءْ — وبريقُ النورِ في الكون ائْتَلَقْ

وكسا الأرضَ مِنْ العُشْبِ رداء — نَمْنَمَتْهُ كفُّ فنّانٍ لبِقْ

وحلاَ للطير في الأيكِ الغناءْ — بعدَ مااخضرَّ على الأيك الوَرَقْ

ودعا الروضُ فَرَاشَاتِ المساءْ : — عادَ عِطْرُ الحبِّ للزَّهْرِ العَبِقْ

وجَرَى في الكون شريَانُ النَّماء — كلُّ حَيٍّ في نواحيه انطَلَقْ

دبّت الأنفاس مِنْ بَعد الفناءْ : — كلُّ مَيْتٍ من جديدٍ قد خُلِقْ

وسَرَت أغرودةٌ مِلْءَ الفضاء : — أقبلَ الفجر ، وقد ولّى الغَسَقْ

مثلما عادتْ إلى الكونِ الحَيَاة — بعدَ ما حلَّ به ركب الربيعْ

هكذا عادت إلى عشّي الحَيَاة — بعدَ ما عاد له طيري الوديعْ

***



وكما ثار على الأفق الضَبابْ بعدما انجابَتْ عن الأفق الحُجُبْ
واختفى إشراقه خلف السَحابْ والدُجى مِن كلِّ رجْءٍ تَقْتَربْ
والرياح الهوج تَعْوِى كالذّئابْ والأعاصير ثَكَالَى تَنْتَحِبْ
أطلِقت جن سليمانَ الغضابْ ملْءُ جَنْبَيْها جنون وغَضَبْ
واكتسى الجَوُّ بأثواب الترابْ نَسَجَتْهَا فى صَحَاريهَا الهُضُب
وتراءى الكونُ من خلف الحجابْ كلُّ ما فيه حزينٌ مُكْتَئبِ
صَمَتَ الطيرُ، لقد عاد اليَبَابْ ورحيق الأيك فى الأيك نَضَبْ
الربيع الطلق قد ولّى وغابْ بين أستار ضبابٍ وَسُحُبْ
يتراءَى مثلَ أطيافِ شَبَابْ تحت أعباءِ سَقَامٍ ونَصَبْ
مثلما غابت عن الكون الحَيَاة بعد ما ثارتْ أعاصيرُ الربيعْ
هكذا غابتْ عن العش الحَيَاة بعد ما خَلَّفَه الطيرُ الوديعْ

***

حينما أقبلتِ من بَعْد الغِيَابْ أشرقتْ فى النفس أضواء الأمَلْ
الشتاء الجَهْم قد ولّى وغابْ والربيعُ الطَّلق فى الوادى رَفَلْ

كشفَ النورُعن النفسِ الحجَابْ وأفاض البشر فيها والجذَلْ

فَمَضَتْ ترعَى الأماني العذاب وانثنتْ تنفض أيامَ الملَلْ

آنَ يا قلبي أنْ ننسى العَذاب وزمانًا من شقاءٍ متصل

ونرى في الدّرب من بعدِالضّباب ومَضَةَ النور وإشراق السُبُلْ

وطريقًا مُصْعِدًا فوقَ الهِضَاب يقصد القمّة في أعلى جَبَلْ

إنه عُشٌ لنا بين السَّحَابْ كُلُّه حُبٌ وشعر وغَزَلْ

خالدًا في دِفْئِه سحرُ الشبابْ وكئوسٌ ذُوِّبَتْ فيها القُبَل

هكذا عادت الى عُشيْ الحياة بعد ماعادَ له طيرى الوديعْ

مثلما عادتْ إلي الكون الحياهْ بعد ما حَلْ به ركبُ الربيعْ

***

لم تَطُلْ بالنفس أفراحُ الصَّباحْ فاجأتْها فيه أتراحُ الغَسَقْ

الربيعُ الطلق قد وَلىَّ وَراحْ والشتاءُالجهْم في الوادي انطَلَق

عَصَفَتْ في النفسِ هوجاءُالرّياح وَعَتَتْ فيها أعاصيرُ القَلَقْ

والغيومُ السودُ في لونِ النُّوَاحْ تَتَوَالَى طَبَقًا فوق طَبَقْ

فـانثنتْ تَرقُّب أيامَ المرَاحْ		تَتَـولّى في كـآبات الأفقْ
وترى آمالَها البِيضَ الوضَاحْ		مِـزَقًـا مُـسْـوَدَّةً خلفَ مِـزَقْ
بُعْـثـرَتْ أزهارها بين البِطَاحْ		فـوق جَـمْـرٍ فى لظاهُ تَحْـتَـرق
لم تدع منها اللّظى غيرَ جراحْ		ودَمٍ من كلِّ جُـرْحٍ يَنْبَـثِقْ
وبقـايَا مِن رمـادٍ مُـسْـتَـبَـاح		بَعْثَرتْهَاالريح في شتىَّ الطُّرُقْ
هكذا غابتْ عن العشِّ الحياه		بعـد مـا خَلّفَـه الطيـرُ الوديعْ
مثلما غابتْ عن الكون الحياهْ		بعـد ما ثَارتْ أعاصيـر الربيعْ

حُوريّةَ المعبَدِ

تلفتتْ تسألُ عن سِرِّهِ   وعَبْدُها يسألُ عن سِرِّهَا

وأسْدِلَ السِّتْرُ علي سِحْرِهِ   لكنه كُشِّفَ عن سِحْرِها

المعبدُ الساحرُ فى صَدْرِهِ   قلبانِ :فى صَدرِى وفى صَدْرِها

والعابدُ الثائرُ في دَيْرِهِ   العابدُ الخاشعُ في دَيْرِها

قد راحَ ما يدرِى على أمرِهِ   تمضِى به دنياهُ أو أمْرِها

***

حُورِيَّةُ المعبد فى طُهْرِها   صلاةُ قلبِ العابدِ الطاهرِ

يَسْتَلْهِم التسبيحَ مِنْ كفرِها   ما أعجبَ التسبيحَ بالكافرِ!

ألم تكنْ وَحْيِ:فمن سِحْرِها   رتَّلتُ اياتِ الهورى الساحرِ؟

وضعتُ أوتارىَ من شَعْرِها   كأنه قيثارةُ الشاعرِ ؟

وفى أريجٍ ضاعَ من عِطرِها ذوَّبْتُ أنغامَ الصِّبا العاطرِ؟

***

قد اجتمعنا فى رضًا ساحرٍ منْ بعدماماأصْمَتْ سهامُ القَدَرْ

كم أرْجَفُوا،باللّهوى الساخرِ بكلِّ من أرجفَ أو مَنْ سَخِر!

فها تلاقينا ، فهل طائرى يعودُ للوكر بظلِّ الشَّجَر ؟

متى تلوحُ الشمس للناظرِ فيُسْعِد الروحَ السَّنا المُنْهَمِرْ؟

يا ليتَ لى من قُدْرة القادرِ ما أبْعدُ الليل وأدنى السَّحَرْ!

نداء القمم

***

وطَوَّفَتْ بالنفس شتَّى الصُّوَرْ تَظْهَرُ للعين ولا تَظْهَرُ!

دنيا منَ الأطيافِ لا تَسْتَقِرْ تَنْفِرُ من فِكْرى ولا تَنْفِرُ!

فها هنا الجَنَّةُ ، لا بل سَقَرْ! وها هنا المُهْلُ ، بل الكَوْثَرُ !

وهذه الجِنُّ تَبُثُّ الشَّرَرْ فى كل رُجْءٍ لَهَبٌ أحمرُ !

بل هذه الحُورُ .. أريجٌ عَطِرْ وفى ثناياه سَنًا أخضرُ !

مهما تَحَيَّرْتُ فهل أُنكِرُ ... أنَّ الهوى كان هُدَى حيرتِي؟

يا طالما كانتْ .. وما أذْكُرُ ... أيامها إلا طغتْ حَسْرتِي

يا طالما كانتْ سنًا يَغْمُرُ ... ضلالَ عُمرى فى دُجَى غَمْرتى

من نورِ عينيها الهُدَى الأكبرُ ... لرُوحِيَ الحيرانِ فى غُرْبَتِي

نبعانِ فى عُمْقَيْهما أنظرُ ... فأستشفُّ الصفوَ من نَظرَتِي

قد ضَمَّها المعبدُ فى زُمْرَةٍ ... كأنها إيزِيسُ في رَكْبِهَا

إيزيسُ فى قُرْبِى على صَخْرَةٍ ... أعَدَّها فرعونُ فِى حبِّها

لكننى أخلو إلى عَبْرتِي ... عساى أطفِي الوجدَمِنْ سَكْبِها

كأسِي إلى جَنْبِي بها خَمْرتِي ... لكننى أُحْرَمُ مِنْ شُرْبها؟

أخمرتى فى الكاسِ أم جَمْرتى؟ ... كلتاهما يُكْوَى فؤادِي بِهَا!

***

قد ضَمَّت القسوةَ في قلبها ... كماضَمَمْتُ العطفَ فى مهجتِي

صامتةٌ ، والقلبُ فى حُبها ... يَضِجُّ : سبحانكِ ياربَّتى

ترنُو.. أبوالهولِ إلى جَنْبها ... كأنما يُوحِي إليها : اصْمُتِي

لَقَّنَهَا القسوةَ فى حَرْبِها — ياحَسْرَتى! جُرِّدْتُ من عُدَّتى

ياليتَ فى صدرِىَ من جَذْبِها — أوجَذْبِه قلبًا من القسوةِ!

***

ياليتَ ماتُجْدِى سوى الحَسْرَةِ — أُغنيَّةُ المحرومِ فى قَفْرِها

يا ليتها ما نَسِيَتْ سَجْدَتى — لوجهِهاالقُدْسىِّ فى طُهْرِها!

ألم تكنْ في هيكلى ربَّتى؟ — ألم تكن رُوحِىَ منْ أمْرِها؟

ألم تكن فى الحبِّ تسبيحتى — وكانت الدنيا صَدَى شِعْرِها

فما لها تُذْوِى جَنَى جَنَّتى — فليس لى إلا لظى جَمْرِها؟

***

فَرَرْتُ للمعبدِ من هَجْرَها — إن دواءَ الحُبِّ في هَجْرِهِ

أرجوشفاءَالقلب من سحرها — بما ألاَقِيه لدىَ سِحْرِه

فلم أعُدْ أقوَى على غَدْرِها — ولستُ مَنْ يَقْوَى على غدرِه

طلاسمٌ تُمْعِنُ في سِرِّها — وسِرُّها يُمْعِن في سِرِّهِ

وإننى الحائر منْ أمرِها — ويلى من الحُبِّ ومن أمرِه!

نداء القمم

أطلقتُ روحي في سَنَا فَجْرِهِ لعلَّهـا تشرقُ مِنْ فَجْرِهِ

من بَعْدِ ما أشرقَ في دَيْرِهِ إشراقةَ المعبودِ في دَيْرِهِ

قد طالَ ما ذاقَتْهُ مِنْ حَرِّهِ فلم تُطِقْ صبراً علي حَرِّهِ

لاأمرَ لي! اقدعدتُ في أسْرِهِ ألستُ بالمرتاحِ في أسرِهِ؟!

قد انطَوَى الكفرُ على سِفْرِهِ وأشرقَ الإيمانُ عن سِفْرِهِ!

صَلاةٌ تَحترَق

دَعيني ! فما فى الكأسِ للقلبِ سَلوةٌ

ولا فى لظاها رَاحةٌ للمُعَذَّبِ

فلا تَمْلئيها بالطِّلا إن نُورَها

بقلبيَ نيرانُ الزمانِ المُغَيَّبِ

ونحِّي عن العينِ الرحيقَ فإنه

يذكرني صفوَ النعيمِ المُحَبَّبِ

وصُبِّي لظاها في اللَّظى ، طال ما كَوَتْ

فؤادي بذكرٍ في الرحيق مُذَوَّب

وألقِي بأكوابِي جميعًا ، وحَطِّمِي

كئوسيِ لا تُبقِي ولا تَتَجَنَّبِي

***

وهاتى الشُّموعَ البيضَ فى ليلةِ الدُّجى

ولا تُوقِديها ، ليس للنورِ مَهْرَبى

ظمئتُ لأمواجِ الدُّجَى ، إنَّ بى صدًى

لأُغرِقَ فيها كلَّ نُورى وغَيْهَبى

وأدفنَ في طَيَّاتِها كل ما طغَى

علي النفس من آلامِ عمْرٍ مُعَذَّب

وأُصْغِي فى صمتٍ حزينٍ لصمتِها

وأنَّى كسيرٌ في الضميرِ مُحَجَّبِ

فأرخِى السُّدُولَ السودَ كى تَحْجُبى السَّنَا

فما بِى مِنْ حُبٍّ له أو تَحَبُّب

سَئِمْتُ سَنَا الدنيا ، وإن كنتُ ومضةً

من النُّور ، لكنّ ضلَّ فى الكونِ مَذْهَبى!

***

حـيـاتى بـه يومـان : يوم قـد انـقـضى

بوجـد ، ويوم ينقـضى في التَّـعَـتُّـبِ

همـومٌ وظلٌّ للـهـمـوم ، مـضى سُـدًى

شـبـابى ولـم أُدْرِكْ منـاى ومـأربى

فَـيَـالَهَـفى حـتى مـتى أبعثُ السَّنا

سـلامًـا فَـأُجْـزَى بالدُّجى المُتَـلَهِّب ؟!

ووالهـفى حَـتَّـامَ أُسْـعِـدُ فـتنتى

بَشـذْوِى فـتـشـنـقـينى بَرجْعٍ مُـتَعَّب ؟!

فليـتَ التي قـد حَـمَّـلَتْنى همـومَـهـا

أصـاخَتْ إلى همى وأصـغـتْ لِمَطلبى

وكـانت بـدنيـاى الكئـيـبـةِ بسـمـةً

تُكـشِّفُ أسـتـار العـذاب المُقَـطَّبِ

وتَمْلَـؤها شـدوًا ضَـحُـوكًـا وفـرحـةً

تموجُ بـأصـداء النشـيـدِ المُطَرِّبِ

نـداء القمم

وتسكبُ في قلبي المُنى فأصوغُها

أغاريدَ في سمعِ الهوى المُترقِّب

ولكنْ - وويلٌ من ولكنْ - تمرَّدَت

على عابدٍ في حُبِّها متقرِّب

ساخرقُ تسبيحَ الهوى فترقَّبي

شياطين كُفراني وجنَّ تقلُّبي

***

أأشكو وما شكواي ؟ بل تلك ثورةٌ

على الوجدِ في قلبٍ عن الحب مُضْرِبِ

نفضت يدي منه وألقيتُ جَمْرَهُ

بعيدًا عن القلب الشجيِّ المُوصَّب

ورحتُ خَلِيًّا لا أبالي أأقبلَتْ

عليَّ بحُبٍّ أم مضتْ في التجنُّبِ

وسيان عندي الآنَ تُخْلِصُ في الهَوَى

لعهديَ أو تَغْدُو بألفِ مقرَّبِ

رمـــيتُ بأشـــواكى وفـــارقتُ جَنَّتى

لَكَمْ هِـيَ قـد حُـفَّتْ بناب ومِـــخْلبِ !

ســأرتاحُ من هـجـرى لـهـا ، إنما الهـوى

خـــمائلُ تُخْـفى كلَّ أفـعى وعَـقْـرَب

***

أضعتُ شبابى فى الهوى ، ضاع ما معَى

من الماء فى قـفـرِ من الماءِ مـجْـدبِ

وأصـبـحتُ من وجـدى كـأنى بعـالَمٍ

سـوى عـالَمى أو مـوكبِ غـيرِ مَـوكِبى

أروح غـريبًا في حِـمَـاهُ ، وأغـتـدى

غـريبـاً ، فـوا قلبـاه للمَـتَـغَـرِّبِ!

سطورٌ من الأشـبـاح تبـدُو لناظرى

ومـا إنْ أري كـنْهَا لهـا في تَعَجُّبى

فلا الصحبُ أصحابى ، كـأنى جَهِلْتُهُمْ!

وإلا فـمـا خَطْبى وفـيمَ تَنَكُّبى ؟!

وقـالوا محبٌّ أذهبَ الحبُّ رشدَه

وألقى زمام العقل في كل مَركَبِ

كفرتُ بليلايَ التي أهدتِ الضنَّى

إليَّ ولم ترْحَمْ ضنى المُتَعَذِّبِ

سكبتُ صلاتى عندها غير أنها

أشاحتْ بكفران الجَحُود المُكذِّب

وقدمتُ إخلاصى إليها فلم يكن

جزائى سوى عهدٍ لها مُتَقَلِّب

فلا تَخلَعى هذا الرداءَ وأتقنى

تَلَوُّنَ حرباءٍ على الدَّوْح مُتَقَلِّب

***

فيا ربَّتى ، بل لا ، لقد كنت ربتى

ولستُ لقُربانِ الهوى بمقُرِّبِ

دعينى أُغَلِّقْ كلَّ أبوابِ هيكلى

عليَّ وأستَغفِرْ لآهات مُذنب

وألقِ صلاتِي فى اللهيب لعلها

تُكَفِّرُ عن كفرِ الشقِّي المُعَذَّب

دعينى! ولكنْ كيف ينجو مِنَ اللظَّى

مقيمٌ بها ، أو كيف مِنْكُنَّ مَهْرَبى ؟!

استغفارٌ

إنْ أكنْ أخطأتُ، يامِيدا، فما لِى غيرِ شِعْرى

هو مـحـرابِى أصَلّـى فـيـه تكفـيـرًا لِوِزْرى

عرشُكِ السامى إليه ضَجَّ بالتـسبيح صدرى

فارفعِى عنّى ذنوبى، واغـفرِى لى،أنتِ عمرى!

***

قد حسبتُ العمـر من بعدكِ بالأفراح يَجْرِى

خلتُ أنى سوف أصحو بـعد ماقد طالَ سُكْرِى

وأرى الدنيـا بعينِ الناس لا تَخْـيـيلَ سـحْـرِ

أَنَافوقَ الأرض مثل الناس لى خَيْرى وشَرِّى

فلمـاذا لا أرَى فى الأرضِ إلاَّ صِنْوَ خَيْـرِ؟!

سوف أحيا في غَوَايَاتي وآثامي وكُفْري!
سوف أُرْدِي من ضَميري كلَّ إحساسٍ بطُهْر!
كيفما يحلو لَي الدَّربُ ففوق الدرب سيْري
لا أُبالي أين يمضي بي : لنجدٍ أم لِغَوْرِ
وسواءٌ ظلماتُ الليل أم إشراقُ فَجْر
نزعةٌ للشرِّ قد ثارت أفَاعيهَا بصَدْري
مُثُلي العليا تهاوتْ، كلُّها أوهامُ غِرٍّ
وأمانِّي تلاشتْ، كلُّها باءتْ بخُسْرِ
أنا في الدنيا غريبٌ ، حيثما أرسو مَقَرِّي
ليس يَعْنيني أفي الجنَّة أم في النارِ قَبْري!
أنا مَيْتٌ غيرَ أني كان قبل الناسِ نَشْري!
قد نَزعْتُ الكفنَ البالِيَ عن جسمي وفِكْري
كنتُ فيه كالسجين الحُرِّ قد ضاقَ بأَسْرِ
حطَّمَ القيدَ وألقاه إلى نارٍ وجَمْرِ

يرقُب الأتُونَ يَغلِى فى لظاهُ ذَوبُ جَــوْرِ
لِمَ لا أحْيَا، وصدري مِلؤُه أنفاسُ حُرٍّ ؟

***

كنتُ كالمسحورِ، لاألقَى سوى ماشاءَ سِحْرى
فى خِضَمٍّ لم أجِد بين دُجاه مُستَقَرِّى
أقلعتْ فُلكى ، وخَلَّتْه إلى مدٍّ وجَزْرِ
وشراعى ساعدَتْهُ الريحُ، فوق الموجِ يجرى
كيفما شئتُ أُزَجِّيه، فهذا البحرُ بَحْرى
كل ما فى قاعِه الجَبَّارِ مَرْجانى ودُرِّى
أنا فى البحر أميرٌ، إنما يَجْرى بأمْرى

***

جُزُرٌ لاحت أمام العين من حُمْرٍ وخُضْرِ
وادعاتٌ تَعْبَثُ الأمواجُ فى صدرٍ ونَحْرِ
عندها ما تَشْتهيه النفسُ من طيبٍ وبِشْرِ

هذه النشوانةُ السَّكْرَى رُباها الخُمْرُ وكَرِى

سوف أحْيا فى روابيها على مَنْبَعِ نَهْر

فى خميلٍ بين جناتٍ ، وينبوعٍ ، وزَهْرِ

غَمَرَتْه فتنةُ الدنيا بأضواءٍ وعِطْرِ

بين سربٍ من غوانى البحر من شُقْرٍ وسُمْرِ

يتغنَّيْنَ ويرقُصْنَ على أنغامِ شِعْرى

نَتَساقى من عناقيدِ الهوى دَفَّاقَ خَمْرِ

عَصَرَتْها من كُرومِ الحُسنِ كفَّى أىَّ عَصْرِ!

لا أبالى بين دُنياها بعذلٍ أو بعذرِ

سوف يُصغِى كلُّ مَنْ فيهاإلى سرِّى وجَهْرى

وإذا احْمَرَّتْ روابيها بكُفْرانى ووِزْرى

أو إذا اخْضَرَّتْ بتسبيحى وترتيلى وشُكْرى

فأنا الشيطانُ والقِدِّيسُ فى شَرِّى وخَيْرِى!

***

وَقَـفَتْ فُلكي على شطٍّ مِـنَ الآمـال بِكْرِ
هي دنيـا بالهَـوَى والسِّـحـر والفـتنة تُغْـرى
طالما رَفَّتْ حـوالَيْـهـا مع الأحـلام طَيْـرِى
فِـتَنٌ صـخَّـابةُ الإغـراء لم تَخْطُر لـغـيـرى
سـرتُ فـيهـا أقـرأ الآمـالَ سطرًا بعـدَ سطرِ
كُلّ مـا أمَّلتُ لاقـيتُ .. ولـكنِّى بِقَـفْـرِ
أنا ظمـآنُ، وإنْ كـانت حـياتـى فوق غَـمْـر
وبقلبى فى الظِّلال الخُـضْـر كم شوكٍ وحَـرٍّ
والغـوانى الدانيـاتُ الحـسنِ منهنَّ مَـفَـرِّى
كم أفاعٍ طَوَّقَتْنى ، سُمُّها فى الجسم يَسْرِى

***

ذكـرياتُ العـالَم المـاضى بلا عـدٍّ وحَـصْـرِ
وطيوفُ الموكب المسحورِ مِنْ بيضٍ وحُـمْرِ
وكـئـوسُ السـامرِ النشـوانِ مِنْ حُلْوٍ ومُـرٍّ

وليالينا على الضِّفَّةِ في نَجْوَى وشِعْر

والعنادُ الثائرُ الصخَّابُ فى كَيْدٍ ومكْرِ

كلها أطيافُ ماضٍ ، لم أجد عنهنَّ صَبْرى

أينما أمضى فما إلاَّكِ فى جَهْرى وسِرَّى

وسناعينيكِ فى عينىَّ فى صَحْوِى وسُكْرِى

والحديثُ الناعمُ الرنَّاتِ فى صَمْتِى وذِكْرِى

ورحيقُ القبلةِ الخمرىُّ ما زال بثَغْرِى

وشذَا شَعْرِكِ مازالت فَوَاغِيهِ بصدْرِى

وأرى فوق ذراعىَّ لظَى ضَمِّى وعَصْرِى

آهِ يا لى من غريبٍ ضاعَ بين القفرِ عُمْرِى

أقطعُ التِّيهَ علي عينىَّ سِترٌ أىّ سترِ!

نَسَجَتْهُ كفُّ أيامى على مِغْزَلِ دَهْرِى

غشَّت الظلمةُ قلبي، واحتوائِى نَفْحُ قُرٌ

وسئمتُ العيشَ فى كونٍ من الإحساسِ صِفرِ

الهوى فيه رمادُ القُرب لم يُشْعَلْ بهَجْرِ
وطريقُ الحب منسابٌ إلى أغوارِ يُسْرِ
لم يرِ الذروةَ فى سيرٍ على الأهوالِ وَعْرِ
وخلودُ الحبِّ فى القِمةِ لا فى جَوْفِ غَوْرْ
ضِقْتُ بالدنيا أناديها فتنسابُ بإثْرِى
لست أرضاهَا إذا لم تأتِ فى أعقابِ نَصْرْ
أنا لا أحيَا إذا لم يَجْرِ بين العُسْرِ يُسْرِى
الهدوءُ الميِّتُ الأوصالِ من دنياه ذُعْرِى
أنا كالشَّلاَّلِ لا تلقاه إلا فوقَ صَخْرِ
ملء نفسِى من هَدِيرِ الموج كم عنفٍ وكِبْرِ!

***

أنا ما غادرتُ محرابكِ عن إلحادِ كُفرِ
إنما ثارتْ بنفسى غضبةٌ تدعو لِثَأْرِى
أنتِ هيَّجْتِ وحوشَ الشرِّ فى جسمىَ تَفْرِى

أنشَبتْ فيه كوخزِ النارِ كم نابٍ وظُفْرِ
فنأتْ بي كبرياءُ النفس عن ذُلّي وقَهْري
أنا لم أنسك ، يا دنياي ، في استهتارِ هَجْرِي
ليس لي إلا سنا عينيكِ يَهْديني بقَفْري
فاكشفِي عنى ظلامِي ، وأعِيدِي نُورَ فَجْرِي

***

إن أكنْ أخطأتُ ، ياميدًا، فمالي غيرُ شِعْري
هو محرابي، أُصَلّي فيه تكفيرًا لوِزْري
عرشُكِ السامِي إليه ضجَّ بالتسبيح صدري
فارفعي ذُنُوبي، واغفرِي لي ، أنتِ عُمْري!

حَسَراتٌ

حَسَراتُ الضَّنَى ... ودموعُ الخشوعْ
سقتُها للسَّنا ... كى تكونَ الشفيعْ
علَّ نُورَ المنى ... أن يضيءَ الشموعْ
فاغفرى لى ، أنا ... لكِ عبدٌ مطيعٌ
ضَلَّ ثم انثنى ... فى صلاةِ الخضوع
قلبُه ما جَنَى ... كيف يَجْنى الصريعْ؟!
كَفكِفى ... دَمْعَتِى
خَفِّفى ... حسرتى
واكشفى ... حَيْرتى
فالمحبُّ الوفِى ... ليس غيرِى أنَا
كيف يا فتنتى ... قد نسيتِ الدموعْ؟

***

وصـــلاةُ الـهَـــوَى عنـد مـــحـــرابكِ
شَـعْـــرُها قـــد رَوَى كـلَّ إلـهـــامِـك
وسـنـاهـا حَـــوَى نُـورَ إيـحـــائِـكِ
فى خـــشـــوعٍ ثَوى عـنـد أقـــدامِكِ
كـــيف أنسى الجَـــوَى وهـــو مـــن نــارِكِ؟
طالما قـــد كَـــوَى قلبَ عَـــبَّـــادِكِ

فـاقـبلى تـوبـتـى
أنـتِ لـىِ ربَّـتـى
وانـزلـى قَـفـرَتى

بـالسَّنَا المُـقْـــبِـل مـــا بقلبـى سِـــوَى
صَـلَـــواتـى الـتـى عـنـدَ غُـــفْـــرانكِ

***

«كـــيف أسْلُو» ومـــا عـنـدَها مِـنْ رَجَـــاءُ
ربَّـــتـــى إنمـــا للـمنى مـــا تشَـــاءُ

قلتُ فيها كما　　　ألهَمَتْنِى السماءُ

فى غرامٍ سمَا　　　عن غرامِ الفَنَاءُ

كم دعوتُ السَّمَا　　　لهوانا البقاءُ

ما أجابتْ لما　　　صُغْتُه مِنْ دُعَاءُ

هل سَلَتْ　　　فتنتى ؟

وَارْتَضتْ　　　لوعتى

صُوَّحَتْ　　　أيكَتِى

بعدما أينعتْ　　　وجَنَاها نَمَا

أنا يا نَجْمَتِى　　　ما سلوتُ الضياءُ

***

وضِياءُ الأملْ　　　فى غناءِ الصَّباحْ

هو بعضُ الحِيَلْ　　　كى تبوحَ الجِراحْ

أتعَبَتْنِى السُّبُلْ　　　لأذِيعَ النُّواحْ

والخصامُ اشتَعَلْ　　　فى حِمىً مُستباحْ

كنتُ أخشى الأجلْ أنْ يضُمَّ الجناحْ
ويثغري قُبَلْ للشفاهِ المِلاحْ
يا سَنَا ظُلْمتى
يا هَنَا شقوتى
يا أنَا يا الَّتى
قد سلَتْ عهدنَا أنتِ منذُ الأزَلْ
كنتِ لى فرحتى منكِ ألقى المِرَاحْ

***

وصَلاتِى التى فى اللَّظَى تَحْتَرِقْ
نارُها غضْبتى من فؤادِى الحَنِقْ
هى مِنْ لَهْفتى في غرامِى القَلِقْ
إنها حَيْرَتى بين شتَّى الطرُقْ
لم أخنْ ربَّتى لا ، وربِّ الفَلَقْ
أنا من سَكْرَتى في الهوى لم أُفِقْ

فاعذرِي ثورتي

واغفرِي زلَّتي

واذكري فتنتي

ولهجرِي اهجُرِي تُحْرِقِي حُرْقتي

واقبلي توبتي لكِ عمَّا سَبَقْ

***

رُبَّ لحنٍ غدَا حائرًا في الشِّفاهْ

مثله ما شدَا شاعرٌ في هواهْ

قد تولَّى سُدَى حُبُّه قد جَفَاهْ

آهِ ! حتى الصَّدَى ضَلَّلتْهُ الحياه !

أنتِ كنتِ المَدَى أنتِ كنتِ مُنَاهْ

لك قد غَرَّدَا ما سمعتِ غِنَاهْ

يالها حَسْرتي

إنها حَيْرتي

ليتها ضَلَّتِ
فضلالي بها كيف ألقى الهُدَى
في الدياجي التي حَرَمَتْني سَنَاهْ ؟

***

صادحٌ في القِمَمْ في لهيبٍ لَهِيفْ
حَجَبَتْهُ الظُّلَمْ واحْتَوَتَه الطُّيُوفْ
وعليه السَّأَمْ في غشاءٍ كَثِيفْ
من ظلالِ العَدَمْ وظلامِ الكُهُوفْ
هَجَرَتْه النِّعَم وجَفَاهُ الأليفْ
كيف يَحْلُو النَّغَمْ في ذيولِ الخَريفْ؟
قد ذَوَتْ رَوْضَتي
وخلتْ جَنَّتي
ما شَدَتْ مُهجتي
بل لِحُبِّي بكتْ بدموعِ النَّدَمْ

فاغفري زلّتي أنتِ ربٌّ رؤوفْ

***

منْ جفاها ، أنا ذلك الصّادحُ
ما نشيدي غنا بل أنا النّائحُ
قد جفاني السّنا فالدُّجى طافحُ
ووشاةُ الخنا كُلُّهم نابحُ
كلهم قد حنا كلهم ناصحُ !
حمّلُوني الضّنى والضّنى لافح
قُربُهُمْ لوعتي
بعدُهمْ حيْرتي
إنُهمْ شقوتي
ما لَهُمْ ويْلَهُم أشهرُوا لي القنَا ؟
أنا في جنَّتي للجَنَى كادحُ !

***

زَعَـــمُـــوا أنَّنى خنتُ عـهـدَ الجَـوَى
وعــلـى الألــسُـــنِ قـد أذعتُ الهَـوَى
أنــا لــم أعْـلِــنِ نَمَّ عَـنِّى الـضَّـــوَى
وشــبـــابى الضَّنى عَـنْ هُيــامى رَوَى
حُـبُّــهـا شَـفَّنى وفـــؤادى كَـــوَى
أنـا لـم يُـسْـلِـنى عنكِ طـولُ الـنَّوَى
فـاعْـلَمِى لَوْعَـتى
وارحَـمِى حيـرتى
واسـلَمِى يـا الَّتى
حُـبُّـهـا فى دمى يـا هـواهَـا اهْـدِنـى
أو فـــيـــا ضَـلَّتى فى طريقِ غَـــوَى !

***

فـأعـيــدِى السَّنَا وأضيـئى الشـموعْ
واذكــرى حُـــبَّـنا وعـــهـــودَ الـولُوعْ

يـومَ كـنـتِ المـنـى		فى زمـان سَـمِـيعْ
يَـبْـتَـغِى وُدَّنـا		جـهـدَ مـا يَسْـتطيعْ
هـل لدنيـا الـهَنَـا		يا حـيـاتى رُجـوعْ؟
عـلَّ نـارَ الـضـنـى		أن تكون الـشـفـيعْ!
فـالـنَّوَى		حيـرتى
والجَـوَى		حَسْرتى
مـا سِوَى		فـتـنتى
أملِى فـي الهَـوَى		إنهـا لِى أنَـا
أنـا يـا ربَّـتـى		لكِ عـبـدٌ مطيعْ !

نداء القمم

بلاَ أَملٍ

سُدّى يا قَلب! قد كانت لنا فى الدهر أفراحٌ
طَوَتْهَـا فى ثنايا الغَـيْبِ عن دنيـاكَ أتراحُ
جَـفَـتْكَ ظلالها والقـفـر بالنيـرانِ لَفَّاحُ
فَنُحْ أو غَنِّ مـا فى السـمـع نَوَّاحٌ وصـدَّاحُ
وعش أو لا تعَشْ سِيَانِ أجسـادٌ وأرواحُ!
تأملْ كلُّ مـا حَـوْلَـيْكَ منْ دنيـاكَ أشـبـاحُ!
شـبـابُكَ قـد طَوَتْه مَـهَـامهُ جـرداءُ أفْـيَـاح
فـلا تَذْكر بهـا الأجـراحَ، كلُّ البيدِ أجْـراح
وسِـرْ لا غـايةً تَـرْجـو ولا فى الـظلِّ ترتاح
بلا أملٍ .. شـبـابٌ ضـائعٌ فى القفـر طَوَّاح!

مَهامِهُ قد جفاها الدهر لا ظلٌّ ولا ماءُ

نأتْ عنها الحياة كأنها فى الكون أشلاءُ

يَضِلُّ بها الصدَّى.. بيداءُ بالأصداءِ خرساءُ

تَقَاذَفُنِى بها الأيام: أصْبَاحُ وأمْسَاءُ

غريبٌ شَرَّدَتْنِى فى الشِّعاب الحُمْرِ أعباءُ

وفى قلبِى .. ولكْن ما لِمَا فى القلبِ أسماءُ

كمِثْلِ اللَّهْفَةِ الصَّدْيَا لَهَا بالسير إغراءُ

هناكَ سنًا يُجاذِبنى له فى العينِ إيماءُ

به ريٌّ ، وهلْ تُرْوِيكَ فى البيداءِ أضواءُ؟

بلا أملٍ .. سرابٌ بارقٌ في القفرِ لألاءُ!

***

وقلت لمُهْجتى الظَّمْأى :بدتْ في الأُفْقِ آمالُ

سَحابٌ مُثْقَلٌ بالماء للظمآنِ يَخْتَال

تأسَّ بالمنى حتى يَعُمَّ القفرَ سَلْسَال

ورحت وفي فمي نَغَمٌ ، وفي جنبي بَلْبَال
أهيِّيءُ خندقًا للماءِ يَهْوى فيه سَيَّال
وطفتُ بربوةٍ آوى لها والغيث هطَّال
علَى شفتي تسبيحٌ ، وللتسبيحِ إجلال
ولكنْ عاصفٌ جُنَّتْ لها في السمع إعوال
تَهُبُّ ، تُبدِّد الآمالَ، عَمَّ السُّحْبَ تضْلال
بلا أملٍ .. سحابٌ تائهٌ في الأفْقِ هَلْهال!

***

طَوَيْتُ علي صداه القلبَ، لا ماءٌ ولا جَام
وَعُدْت لربْوَتِي علَّ الصَّدَى تُرْويه أنْسَام
وهبَّتْ نَسْمَةٌ كالماءِ فيها منه أحْلاَم
تُذَكِّرنى بأيامى إذِ الأيام أيَّام!
سُدًى ، قد عاد للبيداءِ بعد البِشْر إضرامُ
أثارتْ رملَها المُغْبرَّ كثبانٌ وآكام

زوابعُ عمَّت الآفاق .. كلُّ الجوِّ إقتام

وساد الكونَ فى عينىَّ بعد النور إظلام

وحلَّ الليلُ فى جنبىَّ : أشباحٌ وأوهام

بلا أملٍ .. رياحٌ لفُحُها فى النفسِ آلام!

***

وسرْتُ كأننى ثمِلٌ سقْتني نارها ألحانُ

سقتنى حانةٌ فيها عصيرُ الكرم، نيرانُ

وملء دِنانِها لهبٌ له فيهنَّ ألوانُ

أعَدّتهُ لظمآنِ الفؤاد بهنَّ أزمانُ

أسيرُ على اللهيب، خطاى يحدوهُنَّ حيرانُ

وحولي البيدُ بحراً ماله في العينِ شُطآن

وقلبى زورق في موجه الصخَّاب ظمآنُ

أهيمُ به فلا أملٌ بنفسى منه إيمانُ

ولكنْ فى الفؤاد أسىً وملء الروح أشجانُ

بلا أمل .. شبابى كلُّه دمعٌ وأحزانُ!

الطَّائرُ الجريحُ

فى أصيلٍ شاحبِ الألوانِ مُغْبَرِّ النواحى	حـائرِ الألحـانْ
صَبَغَتْهُ ريشةُ الليل بأصباغِ النُّوَاحِ	من دُجى أسْيَانْ
وظلالٌ من ظلامِ الليل سوداءُ الوِشَاحِ	فى السَّنا الحيرانْ
عندَ عُشٍّ ضائعِ الأعشاب فى أيدِى الرياحِ	ثائرِ الأغصانْ
غادرتْهُ فقرةُ الحُب وخَفْقَاتُ المِراحِ	والصِّبا الريَّانْ
صادحٌ خانته آمالٌ كأفراحِ الصَّباحِ	صَدْحهُ أحزانْ
طائرٌ خَلَّفه الإلفُ بروضٍ مُسْتَباحِ	عِطرُهُ نيرانْ
حائرٌ في قفرةِ الحرمانِ خَفَّاقُ الجناحِ	هائمٌ صَدْيَانْ
كلُّ ما حَوْلَيْه أطلالٌ لأيَّامِ صِبَاحِ	مِنْ هوىً فتَّانْ
وهشيمٌ من شبابِ العمر نَوَّاحُ الجراحِ	صورةُ الحرمانْ

***

نداء القمم

تائهٌ فى زَحْمَة الذكرى ببيداء الجنَان نـائـحُ الآلام
لم يَعُدْ فى روضه المُغْبَرِّ ظلٌّ منْ حنان كلُّه إضـرامْ
بَدَّدَتْ عاصفةُ الأيام أزهار الأماني إنهـا الأيامْ!
وبدا سربٌ من الأطيار مَخْلُوعُ العنان ناشـرُ الأعـلامْ
مُسْرِعٌ للأفُقِ المحجوب صَدَّاحُ الأغانى شَـوْقُه أنغَـامْ
أبيضُ الخَفْقَة كـالنُّور بأحداق الـغوانى ناعم الأحـلامْ
وَهَفَـا الطائر للسِّـرْب بآمـال روانى للـمُنى حَـوَّامْ
أين يا سربُ أليفُ العُشِّ أُنسى فى زمانى نُورِيَ البَسَّامْ؟
ومضى فى موكب الأطيار مشتاقَ الجنَان يالهَـا الأوهامْ!
وإلى كل خَضيب الريش رَفَّاف المعانى يَسْبِقُ الأنسامْ

***

ياله حَيْرانَ في السِّرب بروحٍ مستهامٍ ضـائعَ الآمالْ!
موكبُ الألأَّف في حُبٍّ ونجوى وهُيَامِ فى الصبِّا يختالْ
كله إلفٌ وإلفٌ في نشيدٍ وغـرَامِ للهوى استرسال!

والصغيرُ التائهُ المسكينُ مفقودُ الزمامِ   حائرُ التَّسْآلْ
باحِثٌ في زَحْمَةَ الطير بأشواقِ ظَوَامى   من أليفٍ ضَالْ
هَجَرَ العُشَّ ولم يتركْ به غيرَ قَتَامِ   هَجْرُه قد طالْ
آه ما أقَسى لياليه ضِرَامٌ فى ضِرَامِ   كلها إعوالْ!
وَانْثَنَى فى قلبه جُرحٌ على الآمالِ دامى   بالأسى سَيَّالْ
واختفى السِّربُ فما غير فراغٍ وظلامِ   وهو في إجفالْ
عائد للروضِ، للذِّكْرَى ، لأحْلاَمِ الوئامِ   يالها الأطلالْ!

***

ورنا المسكينُ لا روضٌ ولا ظِلٌّ ظِلالِ   إنما إقفارْ
الخميلُ النَّضْرُ والجدولُ دفاقُ الزُّلالِ   والشَّذَا المِعْطَارْ
والغناءُ العذبُ في عشٍّ بصَدَّاحَيْه حالى   مالها آثارْ
كلُّها ضاعتْ ولم تتركْ له غير اختبالِ   جارفٍ التَّيَّارْ
ومَضَى، ياضَلَّة المسكين في هذا الخَبَالِ!   ضائِعًا قَدْ حَارْ
لم يَعُدْ يبدو لعينيه على بُعْدِ المَجَالِ   فى المَدَى الدَّوَّارْ

غيربحرٍ غاضبِ الأمواجِ مجنون النِّضالِ   عــاصـفٍ هَدَّارْ
ضائع الشطآن مفقودِ الهُدَى بَادِى الضَّلاَلِ   مُسْـدَلِ الأستـارْ
مـا بـه غـيـر تهــاويلِ ظنونٍ وخــيــالِ   كلـه أســـــرارْ
والصغيرُ التائهُ المسكينُ مخذولُ الصِّيَالِ   فى وَغَى الأقدارْ

***

وهَوَى الليلُ على البـحـر بأمواجٍ غِـزَارِ   عَـمَّت الأرجـاءْ
والسنا الباقى منَ الضوءِ مُجِدٌ في الفرارِ   كلُّـه أشــــلاءُ
وظلامُ الليل من فوقِ ظلام الموجِ سارى   ضاعـت الأضواءْ
قَـفْـرةٌ لَجِّيَّـةُ الكثْبانِ بيـضـاءُ الغـبـارِ   نورُهـا ظلمــــاءْ
مابهاأرضٌ ولافلكٌ عـلى المَوْجَاتِ جارى   مـا بهــا أحـيـاءْ
والصغـيرُ التـائه المسكينُ فى شِبْهِ دَوَارِ   يشـبـه الإغمـاءْ
حـيـثمـا يرنو فـمـا غـير بحـارٍ وبحـارِ   مـــا لهـــا أبـناءْ
لم يَعُدْ يُدْرِكُ ما حولـه فى هذى القفارِ   هاضـه الإعـيـاءْ
مِنْ ظـلامٍ وفــضـــاءٍ وضـــلالٍ وأُوَارِ   يالهـا الأعـبـاءْ!

نــداء القمم

وَهْوَ فى الغَمْرَةِ ما فى قلبه غير ادِّكَارِ　　للرُّبى الغَنَّاءْ

***

وعلى ما يُشْبِهُ الأُفْقَ بدا شِبْهُ ضياءِ　　خافتُ المصباحْ
خَجِلُ اللألاءِ منعورُ السَّنا بادِى الحَياَءِ　　مختفٍ وَضَّاحْ
ورنا الطائرُ لِلألاءِ مخذولَ الرجاءِ　　باكىَ الأفراحْ
يا ضَنَاهُ ! ضاعت الآمالُ أدراجَ الفضاءِ　　ياضنَى الصَّدَّاحْ
الجناحُ الهَشُّ هاضَتْهُ أعاصيرُ المساءِ　　والدجى المُجْتَاحْ
والجراحُ الحُمْرُ فى الريش غزيراتُ الدماءِ　　وَخْزُها مِلحَاحْ
لم يَعُدْ يَقْوَى على الزَّفِّ لدانٍ أو لنائى　　كلُّه أجراح
والوميضُ العَذْبُ خفَّاقٌ لأبصارٍ ظِمَاءِ　　بالمُنى لَمَّاحْ
يا له المسكين ما فى رُوحِه غير ذَمَاء!　　آهِ لو يرتاحْ
آهِ لو مرَّتْ على أجراحِه كفُّ السماءِ　　تَكْشفُ الأتراحْ

مِنَ اللَّهيبِ

خلف ائتلاقِ السَّنا أفنيتُ أحلامي

وفي ركابِ الهوى ضَيَّعتُ أنغامي

وَضلَّ مِنِّي شبابي ، لستُ ألمحه

إلا صُبَابَاتِ أحزانٍ وأوهامِ

دُنْيا من النارِ حولي ، أينما اتجهتْ

نفسي فليسَ سوى سَيْل اللَّظَى الهامِي

أنا الغريقُ ببحرٍ لا شواطئُه

تبدُو ، ولا طيرُها الهادِي بدَوَّام

سُدَّتْ عليَّ طريقِي في مَجَاهِله

وأظلَمَ النورُ في دَيْجُوريَ الطَّامِي

دنيايَ ليلٌ من الآهاتِ مُتَّصِلٌ

شمسُ السعادةِ لم تُشرق بأيامي

لم ألقَ فيها نعيمًا ، كلُّها ألمٌ

يا ليتَ ليلَ الهوى ولَّى كأحلامِى!

***

ماذا جَنَى القلبُ من دنيا صَبَابَتِه

إلا ضَلاَلاتِ آمالٍ كآلامِ !؟

دخلتُ جَنَّتَها بالحسنِ مشرقةً

دنيا تَبَاهَى بأطيارٍ وآرَامِ

خمائلٌ وَروَابٍ كلُّها فِتَنٌ

قُدْسيةٌ دونها إبداعُ رَسَّامِ

وقفتُ فى بابها حَيْرانَ مضطربًا

والقلبُ ما بين إقدامٍ وإحجامِ

وخَيَّلَتْ لى المُنى أنى مُغَرِّدُها

وأن أفنانَها فردوسُ إلهامى

دخلتُها ، وشبابى نارُهُ اشتعلتْ

والقلبُ يهفو إلى ظلٍّ وأنسامِ

وعـالمى بالشيـاب السُّـود مُـتّـشِح

كـأنما صُـبـغـتْ في لـونِ إظلام

دخلتُـهـا ، والمنى تختـالُ مـغـرية

حَـوَّامَـةُ السِّـحْـرِ تُغْـرِى كلَّ حـوَّام!

لعل بسـمتَـهـا البـيـضـاءَ ، فى أفُـقِى

تبـدُو فـتكشف عنه كـلَّ إقـتـام

فـمـا لـقيـتُ بمـغـنَاها - ويا أسَـفَى! -

إلا حـدائقَ تعـذيـبٍ وإيـلام

ثمـارُها حـيـرةٌ ، مَنْ ذاقـهـا تـركتْ

فـؤادَه في دُجَى بيـدٍ وآكـام

وعطـرُها لَفْـحَـةٌ مـجنونـةٌ زَفَـرَتْ

بهـا الجـحـيمُ علـى أربـابِ آثام

وطيـرُها ، مـا بهـا طَيْـرٌ ، فليس سـوى

بومٍ علـى قـفـرِها بالشُّـؤمِ نَمَّـام

جَنَتْ ، عَلَىَّ ، ولم تَبْـخَلْ ، بكل جَنًى

وَجْـد وهـمٌ وآلام وأسـقـام

وأرسلتْ خلفَ آمالى أفاعِيهَا

سوداءَ تَنْسَلُّ فى بيضاءِ أكمام

قد حَجَّبَتْهُنَّ أوراقٌ مُغَلَّفَةٌ

عن العيونِ لتضليلٍ وإبهام

يظُنُّها الغافلُ المسكينُ مَلْمَسَهُ

ارْفعُ يديكَ ففيها جُرْحُكَ الدامَى!

خُدِعْتُ فيها وَغَرَّتْنى ملاسَتُها

انْظُرْ بكَفَّىَّ أجراحِى وأورامِى!

خَرَجْتُ منها ، وفى جَنْبَىَّ نائحةٌ

قد لَوَّنَتْ بالدموع السود آلامِى

ومن دمائى جِراحاتٌ تَبِضُّ بها

نيرانُها أترعتْ لى باللَّظى جامِى

وفوق عينيَّ أستارٌ مُحَجِّبةٌ
كثيفةٌ أحكمَتْ لي كلَّ إحكام

مُحَيَّرٌ في دياجٍ ما لها نَبَأٌ
أضعتُ فيهنَّ أحلامي وأعلامي

أمضي ، فلا عالمي بالنور مُؤتَلِقٌ
كما عهدتُ ، ولا دهري ببسَّام

ولا شبابي شبابٌ، مات رَيِّقُه
فليس منه سوى أشلاء أعوام

قوافلُ الدهر تمضي في مسالكها
تُحْدَى بشوقٍ إلى واحات أحلام

تمرُّ قافلةٌ في إثر قافلةٍ
وموكبي حائرٌ في دَرْبِهِ الظامي

قد ضلَّ حاديه في يَهْمَاءَ ضائعةٍ
يا ضَيْعتَي خلفَ آمالي وأوهامي!

هنا حُطَامُ أمانٍ كنتُ أرفعها

وخلفَها مِعْوَلٌ في كفٍّ هدَّام

وها هنا روضةٌ رَوَّيْتُها بدمي

أمستْ رمادَ هشيمٍ فوق أكوامِ

وها هنا عالمٌ كنا نعيش به

لم يَبْقَ منه سوى أطلالِ أيامِ

وها هنا مَعْبَدٌ كَمْ قد سَجَدْتُ به

وكم تَخَشَّعتُ في إجلاله السَّامِي

مضتْ إلَهتُه عنه مُخَلِّفةً

عليه ظُلمةَ كفرٍ بعد إسلامِ

خرجتُ من معبدى ، لم ألقَ فيه رضًا

ولم أجدْ فيه محرابًا لأنغامِي

وَتَوبَتى ما تلاقى فيه غافرةً

تمحو بغفرانها ما ظَنَّ آثامى

ضجَّ الوشاةُ بأنى قد كَفَرْتُ بها

وقد نسيتُ مواثيقى وأقسَامِى

وأننى شاعرٌ هيمانُ في سُحُبى

حُبِّى خيالاتُ أحلام وأوهام

وأننى في الهَوَى خَدَّاعَةٌ لَبِقٌ

لكلِّ داجيةٍ أعددتُ أجْامي

كلُّ الذي زَعَمُوا تلفيق مُخْتَلِقٍ

وكل ما ذكروه كَيْدُ ظُلَّامِ

مالى سواكِ ، فهل تصفو مناهلنا

وهل تعودين لي فردوسَ أحلامِى؟

كُنْتِ

إنْ سرتِ في الروضِ الحزينِ، وثارَ في دمكِ الحنينْ
وذكرتِ أيامًا طَوَاها الدهرُ في سِتْرٍ حَزِينْ
وذكرتِ كيف مضى الزمانُ بنا ، وكيف رَسَا السَّفِينْ
وتتابعتْ في نفسكِ الأسْوَى كآباتُ الشُّجونْ
ونظرتِ قد غَشَّتْ صباكِ النضرَ أحزانُ السنينْ
وعيونُكِ السَّجْوَاءُ نَمَّتْ عن أسى النفسِ الدَّفينْ
ومضيتِ في إطراقةٍ بين الخمائل تسألينْ
تَبْغِينَ زهرَ الياسَمِين رفيقَ صَبْوتنا الأمينْ
فَتَذَكَّرى مَنْ كنتِ في دنياه حُبًّا لا يَهُونْ
واصْغَى لقلبكِ ، إنه يُنْبِيكِ منْ منَّا الخَئُونْ
أنَسِيتنِى ، وظننتِ أنِّى فى يديكِ تُسَيِّرِينْ !؟
إنِّى نسيتُكِ يا جميلةُ وانجلَى عنىَ الفُتُونْ

إنى عــشــقْـتكِ حـين كنتِ

وأنتِ قـد أصبـحتِ أنت!

وإذا الحـديقــةُ أشْـرقَتْ لما رأتـك مع الأصــيلْ
وتهـلّلتْ جـنبَـاتُهــا ، وتبَــسَّمَ الزّهَرُ الجـمــيلْ
وتَلَفَّـتَ العَــبَّـادُ نحـوكِ عن ضـيـائك لا يَمــيلْ
نسَى الـصـلاةَ لشـمـسـه يَهْــوى سنَاها لـلأُفُـولْ
وهفـا إليكِ مُـسـضـبِّحًـا بضـيـاءِ شـمسٍ لا يزُول
وإذا مـضـيتَ بدربهـا المَسْـحُـورِ فى سـيـرٍ ضَلُولْ
تمضِينَ فى هَذَا السـبـيلَ لتَسْلُكى هذا السَّـبـيل
كـزمـانـنا الماضـى ، كـلانا جـاهلاً كـان الدَّلـيلْ!
وقـصَـدْتِ فى حِضنِ الـكهـوف الشُّمِّ مَجْلسَنَا الظَّليل
ودعـوتِ سَـاقِـينَا البَـشُـوشَ لكـى يَبُلَّ لك الغَـليلْ
وجلستِ وحـدَكِ تحـتـسينَ «الشَّـاى» فى سَـأمٍ مَلُولْ
فـتـذكَّـرى أنَّا شَـرِبْنَا في الهـوى كـأسَ الرَّحـيلْ

إنى عــشــقْـتكِ حـين كنتِ

وأنتِ قـد أصبـحتِ أنت!

نـداء القمم

وإذا مضيتِ مع الضفاف الخُضْر في وقت الغُروبْ
في عالَمٍ للحبِّ تَمْشي في جوانبه القلوب
دنيا هَوَانَا حيثُ سِرْنا والصِّبَا لاهٍ طَرُوبْ
وَسَلَكْتِ نفسَ طريقنا المحبوب في الشطِّ الخَصيبْ
تَمضينَ وحدك، لا كما كنا مع الماضي القريبْ
في موكبٍ للذكريات يموجُ بالصَّمت الصَّخُوبْ
ونظرتِ للشمسِ الغريبةِ وَهْيَ تَهْوي للمغيبْ
والأفْقُ غَشَّتْه الغيوم ، فكلُّ ما فيه كئيبْ
عادتْ لك الذكرى ، وعاد لوجهك النَّضِر الشُّحُوب
وذكرتِ أيامَ الهوى وسألتِ : أينَ مضَى الحبيبْ؟
ومضيتِ حولك تسألينَ ، ولا سَميعَ ولا مجُيبْ
ونظرتِ للأفْقِ المحجَّبِ تَسْتَشِفينَ الغُيُوبْ
إني عشقْتكِ حين كنتِ
وأنتِ قد أصبحتِ أنتِ!

وإذا مضيتِ مع الظلامِ وقد تغشَّاكِ الوجومْ
كَثُرَتْ بشاطىءِ نفسكِ المجهولِ أمواجُ الهمومْ
وتَجَمَّعَتْ فى أُفْقِكِ المُمْتدِّ أستارُ الغيومْ
وتجاذَبَتْكِ عواصفٌ ثارتْ من الصدرِ الكَظيمْ
غَشَّتْ دُجَاكِ كآبةٌ ، وطواكِ إحساسٌ سَئُومْ
ورأيتِ دهركِ قد تحكَّمَ فيه شيطانٌ رجيمْ
لا الدَّربُ يمضى كيف شئتِ ، ولا طريقُكِ يستقيمْ
ورفاقُ رَكْبِكِ خَلَّفوكِ، فلا صديقَ ولا حَميم
وانفَّض سامِرُكِ المُعَطَّر عن فراغٍ لا يَريمْ
ونظرتِ ، ما كَسَبَتْ حياتَكِ من مناكِ سوى هَشيم
فتذكَّرى سَمَرَ الضفافِ ، وليلَنا تحت النجومْ
واصغَىْ إليها .. عندها أسرارُ ماضينا القديم
إنى عشقتُكِ حين كنتِ
وأنتِ قد أصبحتِ أنتِ!

إنى حسبتُ الحبَّ فردوسًا يُوَقِّينا السعيرْ

مرَّتْ ليالينا به ألَمًا تحَجَّبَ في سرُورْ

إنا خُدِعْنا فى وَريفِ الظلٌ عن نار الهجيرْ

مُتَعُ الظلالِ الخُضْرِ أنسَتْنا سَمُومًا قد تَثُور

لم نَصْحُ إلا والرياحُ كما تشاء بنا تَدُور

رُفِعَ السِّتار عن الحقيقةِ وَانجَلى عنها الغُرُور

لا جَنّتى خَلُدَ النعيمُ بها ولا دامَ الحُبُور

والكوثرُ الدفَّاقُ لاخمرٌ ولا ماءٌ نَمِيرْ

وضِفَافُه لم نَلْقَ فى أحضانِها العُشْبَ النَّضِيرْ

كم مَوّهَ الوَهْمُ الطَّمُوحُ لنا وكم عَكَسَ الأمورْ !

لا أنتِ حَوَّائِى ، ولا أنَا آدمٌ .. وَهْمٌ غَرُورْ!

إنى نَفَضْتُ الوَهْم عن نفسِي وكَشَّفْتُ السُّتُور

إنى عشِقْتُكِ حين كنتِ

وأنتِ قد أصبحتِ أنت!

إنى عـــشــقــتكِ حين كـنتِ وفــيــةً لا تَغْــدرينْ
وعــشــقتُ فــيكِ وداعــةً رقَّتْ كــزَهْرِ الــيــاسَــمين
وبراءةً بــيــضــاءَ قــد قُــبِــسَتْ من الــصــبح المُبين
وطــفــــولةً في القـلب لـم تُصْــبَـغْ بأدرانِ الــسنين
وصــفــاءَ رُوحٍ كــالنَّدَى المنثــورِ من فـوقِ الـغُـصُــون
إنى عــشــقــتكِ صــورةً فى النفسِ وَشَّــاهَا الفُــتُــونْ
دنيــا مَــعَــانٍ صــاغــهــا وَهْمِى ، وكنتُ بهـا الـضَّنِينْ
إنى لأشْــــفِق أن أراهـا وَهْى فـى نفـــسى تَـهُــــون
وَاحَــسْــرَتَاه! هَوَتْ كــمـا يَهْـوِى مع الـشكِّ الـيـقينْ
ووقـــفتُ أنظُرُها تَبَــدَّدُ مـــثـلَ أطيـــاف الظُنُونْ
إنى نــســيــتكِ ، يا جــمـــيلةُ ، وانْجَلَى عنى الجُنُونْ
عَــبَّـــادُ شَــمْــسِكِ قــد أدارَ عن السَّنـا الحُبَّ الأمينْ

إنى عــشــقُتكِ حـين كنتِ

وأنتِ قــد أصبــحتِ أنتِ!

مَاتَت الأفراحُ

ودَّعتُ في مشـرق الآمـال أفـراحي

ورحت أسـتقـبل الدنيـا بأتراحي

أراقب الكون يجلو النورُ ظُلمَتَه

وملءُ نفسِي دياجٍ ذاتُ أشباحِ

يالي مِنْ الفَجْر ! لا أضواؤه غَمَرَتْ

نفسِي ، ولا عِطره حولي بنَفَّاحِ

أغفَتْ بشاشته عني وبَهْجتُه

وخَلَّفَتنِي لهمٍّ ساهرٍ صاحي

أرى على الأفق ينبوعًا يفيضُ به

نُورًا ، ويملأ بالأحزانِ أقداحي

طاف السقاةُ بها سوداءَ ما عُصِرَتْ

مِن نور كَرْمٍ ولا من عطر تُفَّاح

مَنسُوبة لدياجي الليل ، كَرْمَتُها

نَمَتْ على جدول بالدمع سَفَّاحِ

شربتُ حتي رأيتُ الفجَر أُغْنِيَةً

يشدُو بها الموتُ في أفواهِ نُوَّاح

أنا الغريبُ بهذا الكون ، واحَزَنَا

لا الشمسُ شمسِي ، ولا الإصباحُ إصباحى

هَتَفْتُ بالفجر ، فارتَدَّ الصَّدَى شرقًا:

وَدَّعتُ في مشرق الآمال أفراحى!

***

وَدَّعْتُ فى مشرقِ الأفراح آمالى

ورحتُ أسحَبُ بالإخفاق أذْيَالى

وعدتُ للظلمة السوداءِ تملؤنى

يأسًا ، وتَسْرى فناءً بينَ أوصالى

وكنتُ ودَّعتُ أحـــزانى على أمَلِ

في أن يكَشِّفَ نور الفجــر أسْدَالى

نَفَضْتُ عن نفسَى الأسْوَى كـآبتَهـا

وهَدَّأ الوَهْمُ فى جَنبِيَّ بَلْبَـــالى

ورحتُ أرقبُ فى شـوق وفى لَهَفٍ

فجْرى ، وأرعى أمانِّى الصبّا الغالى

وَخــيَّلَتْ لى المُنى إشــراقـةً ، مَلأتْ

ليلى بنورٍ كنور الفــجــر هَطَّال

زَرَعْتُ بالوهْمِ صحـرائى ، ورُحْتُ بهـا

أمضى على شِبْه غــدرانٍ وأظلالِ

نسيتُ أنىَ فى صحراءَ غـاتيـةٍ

وأننى بين نيـــرانٍ وأهوالِ

لم أصحُ إلا ونُورُ الفــجــر يكشف لى

أنَّ المنى لم تكن لى غيـرَ أطلالِ

هتـفتُ، والنـفسُ قـد عـاد الظلامُ لَهَـا:

ودعتُ في مـشـرق الأفـراح آمـالي

***

ودعتُ في مـشـرق الأضـواءِ أضـوائي

ورحـتُ أدفنُ فـي الإظـلام أشـلائي

لم يُبق لـي الدهرُ من نفـسي سـوى مـزَق

ولم تَـدَعْ لي الـليـالي غَـيـرَ أرزَاءِ

مـضى الصِّبـا بأمـانيـه وفَـرْحتِـهـا

وجَـفَّ روضـي ، وطـارَتْ عـنـه أنـدائي

وعـشتُ في عـالَـمٍ بالهـمِّ مـزْدَحمٍ

أنـوءُ تحتَ تـكـاليـفٍ وأعـبـاءِ

قـد حَـمَّلَتني الـليـالي كل مـا حَـمَلَتْ

كـأنَّ لي في الـليـالي بعضَ أعـداء

مـاذا عـلى الدَّهْـر لو أغْـفَتْ نوائبـه

عنيِّ ، وخَـلَّفَني أمـضي بصَـحْـرائي ؟

دنياىَ صحراءُ أمضى في مسالكها

بين العذابين : من نار وظلماء

مُحيَّرَ الخطو ، مغلوبَ الهُدَى ، فَقَدَتْ

مواكبى فى نواحيها أدلائى

لم يَبْقَ لى بينها إلا منىً نَشَرَتْ

أعلامها البيضَ فى أُفقٍ لها نائى

هتفتُ ، والدهرُ يَطويها بظلمته :

وَدَّعْتُ في مشرق الأضواءِ أضوائى !

***

طويتُ صدرى علي هَمِّى وأحزانى

ورحتُ أستقبلُ الدنيا بألحانى

يَخَالُها الناسُ أفراحًا مُنَغَّمَةً

وما دَرَوْا أنها أصداءُ أشجانى

أنا الذى تُسْعِدُ الدنيا كآبتهُ

وتَمْلأ الكونَ بالأنوار نيرانى

غِـرِّيدُ حُـرِّيَّةٍ ضَـمُّـوه فـى قَـفَص

لِـيـطـرِبُـوا بِـنُـواحٍ مـنـه رنَّـانِ

أشـدو لهم ، وبقلبـى غُـصَّـةٌ ، صَبَـغَتْ

ألـوانُهَـا الـسـودُ بـالأتراحِ أوزانـى

عَـصَرْتُ مـن دمَى الغـالى رَحِـيقَـهُمُ

فـملء أقـداحِـهِمْ حِـسِّى ووجـدانى

نارى بـأيديـهمُ نورٌ فـواعـجـبَـا

أشـمـعـةٌ أنا فى مـحـراب سَهْـرَان ؟!

أفنى لأُحْـيِـيَـهُمْ ، اشـقى لأُسْـعِـدَهم

ومـا جـزائى منهم غـيـر كُـفْـران

ضَـمَمْتُ جُـرحى على نارى ، ومـاشعـروا

كـأننى الجَـمـر في صـمتٍ وكـتـمـان

ورحْـتُ بينـهـمُ أشـدو لأطـربهـم :

طويتُ صـدرى على هَمِّى وأحـزانى !

كأسٌ محطَّمةٌ

(أسمهان ١٩٤٤)

جَفَّ الرحيقْ

ونارُ الزمانْ طغتْ فى الجَنَانْ

وطال الطريقْ ومالى رفيقْ

وما مِن حنانْ

ألستُ الغريقْ؟

أيا أسْمَهَانْ؟

سئمتُ حياتِى بدُنيا الهَوَانْ

غريبٌ فليس بها لى مكان

فما العيشُ نوى أسمهان؟!

وكيف المآلْ؟

ونارُ اللهيبُ يقَفرى الجَديبْ

تسودُ الرمالْ   وبي الحَرُّ طالْ

ومالِي حبيبْ

وما منْ ظلالْ

ألستُ الغريبْ

فواحَسْرتَاهْ!

فقدتُ الضياءْ   ومالى رجاءْ

وغَشَّى الحياهْ   ظلامٌ آراه

فكيف البقاءْ؟

وما مِن هُدَاهْ؟

ليأتِ الفَنَاءْ

ويَطوِ الشِّراعْ!

فروحى الحزينْ   قضى في الأنينْ

شبابي المضاعْ   ومالي انتفاعْ

فمِلْ بالسفينْ

فعيشى صراعْ
وكلُّ السنينْ
مضتْ في جراحْ
فقدتُ الأمانْ   بحربٍ عوانْ
ومالى سلاحْ   بهذا الكفاحْ
فيا لَلهوانْ !
فهاتِ الجَناحْ
نُخَلِّ الزمانْ
إلى شاطىء كوثرِى الجِنانْ
من الخُلد حيثُ الأمانى الحِسَانْ
لعلِّى ألاقى بهِ أسمهانْ
فذاكَ الخميلْ
ألستَ تراهْ ؟   بحِضْنِ المياهْ ؟
وظلِّ النخيلْ ؟   إليه الرحيلْ

لنَلقى الحياهْ
بظلٍّ ظليلْ
ونُطفى الشفاهْ
بعذبِ الرحيقْ
لعلَّ الصباحْ يعيد المراحْ
بسحرِ الشروقْ لقلب مَشُوقْ
قضَى فى النُّواحْ
شبابَ الطريقْ
وكانت جراحْ
وكنتُ المصابْ
ضيائى الوَضِىّ وعطرى الشَذِىّ
طواه العُبَابْ فَيَا لَلعَذَابْ !
وعيشى العَتىّ
أعدَّ الشرابْ

لقلبي الضَّنِيّ
وصَفٍّ الكئوسْ

وفَــضٍّ الــدِّنــانْ   وصَبٍّ الجُــمَــانْ
شــرابٌ عَــبُــوسْ   يُـذِيبُ النفــوسْ

ويكْوِي الجَنَانْ
بهمٍّ حَـبِـيسْ
كـهمِّ الزمــانْ

شــربتُ به النــارَ   قــبلَ الأوانْ
وأذوىَ شــبــابَــي   فـى العُنْـفــوانْ
صــبــاحَ تولَّــى   سنا أســمــهــانْ

صباحٌ كـئيبْ

ريـاحُ الهــمــومْ   تُـثِيـرُ الغـيــومْ
ونــارُ الـكــروب   تـذِيـبُ القـلـوبْ

وثارتْ سَمُومْ

نـداء القمم

برَوضي الرطيبْ
تُرِيني الهَشيمْ
وَغابَ السرورْ
وولَّتْ رُؤَاهْ طَوتهْا المِيَاهْ
وماتَ العبيرْ طواهُ الغَدِيرْ
وأفْنَى شَذَاهْ
فما فى الهجيرْ
وَوَا وَيْلتاهْ !
سوى ما تَرَاهْ
جناح كسير جفاهُ المسيرْ
وشادٍ صَدَاهْ نُواح الحياهْ
وعطرٌ أسيرْ
حبيسٌ شَذَاهْ
ونورٌ ضَرِيرْ

أضاعَ الزِّمامْ

فكيف الأمانْ بهذا الزمانْ ؟

وحولي ضِرامْ يُثيرُ القَتامْ

وكلُّ مَكانْ

عليهِ ظلامْ

وفيه دُخَانْ ؟

وطافتْ بدنيايَ أشباحُ جَانْ

دياجٍ ونار ، ومالي يَدَانْ!

فهل أنتِ مُنْقِذَتِي ، أسمهانْ ؟!

الفيضى عَليَّ

بهذا الوجودْ أمانَ الخلودْ

لروحي الشَّقِيِّ وقلبي الشَّجِيِّ

ضياءً يُعيدْ

شبابي الرَّضِيِّ

بدهرى الجَحُودْ
فعُمْرِى ضَلُولْ
بدنيا خَلاَءْ ومالى اهتداءْ
فكيف السبيل ومالى دليل ؟
بهذا الفضاء ؟
وحولى سُيُولْ
تُفِيضُ الشقاءْ ؟
هَبِينى سناكْ
بهذا الظلام فما مِنْ مُقام
بغير هُدَاكْ وما لى سواكْ
يُعِيدُ السّلامْ
غريبٌ رآكْ
فألقَى الزِّمَامْ
لنورِ الجلالْ

وكـــان الـزمـــانْ لـئـــيمَ الجَـنَـانْ
أثـارَ الـرِّمـــالْ تُعَطِّى الجَــمَـالْ
وتَطوِى الحَـنَانْ
ظلامُ الـليــالْ
يَـعُـمُّ المَـكَـانْ
وفى كل ركـنٍ تُـعَــــدُّ الـسِّنَـانْ
لتـحـجُبَ عنى ضـيـاءَ الأمَــانْ
فـهـذا شـبـابىَ يا أسـمـهـانْ
ألستْ الطريدْ؟
يقـــفـــرِ خـــرابْ ثَـرَاهُ حِـــرابْ
وفـيـــه حــديدْ جَـنَاهُ القـيــودْ
مُضَاعُ الـشبابْ
بدهرى وحـيـدْ
وحـولي يَبَـابْ

نداء القمم

وبيضُ المُنَى

كساها السوادْ ولونُ الحِدَادْ

كساني أنَا ونارُ الضَّنَى

تَوَّجُ السهادْ

جنونُ الفَنَا

أضاعَ الرشادْ

أهذا الصَّدُوحْ

طَوَتْه المَنُونْ؟ فيالَلجُنونْ !

زمانٌ جَمُوحْ أمَاتَ الطُّمُوحْ

فَيَا لَلخئُونْ !

وكلٌّ جريحْ !

وكلٌّ طعينْ !

فكيف السرور؟

ولُؤمُ الزمان أماتَ الحَنَان ؟

وأحْلَى الطيـــورْ   حَـوَتْهـا القبـورْ ؟

فـدهرى هَوَانْ

ليـومِ النُّشُـورْ

أيا أسـمـهـانْ

هـنالك ألـقـــاك بين الجِنَانْ

على رَفْـرَفٍ عَـبْقـرىٍّ حِسَـان

فـأحيـا بصوتِكِ يا أسـمـهـانْ

سأسرى الطريقْ

بهــذا الدُّخـــان   لألـقـى الأمــــانْ

فـضـوءُ البـروقْ   ينادى المشُــوق

بُخلدْ الجِنَان

لأشْهى رحيق

بأشــهى دنانْ

مُنى في ضـــميـــرىَ يا أســمـــهـــانْ

أعـيشُ بـهـا العـمـــرَ يا أســمـــهـــانْ

ســألقـاك فـى الخُلد يا أســـمـهـــانْ

اللّحنُ الخالدُ

(أسمهان في ذكراها الخامسة - ١٩٤٩)

مَـرّت ليـالي النّوَى يا أسـمـهـانُ على

رفـاقِ عـالَمِكِ السـحـريِّ أحـزانًا

تَرَكْـتِـهِمْ بين بـحـرٍ صـاخبٍ لَجِبٍ

تثـورُ أمـواجُـهُ السـوداءُ أشـجـانا

يمضـونَ في لُجَجٍ ضـاع الضـيـاءُ بهـا

كـمـا تَقَـاذَفَتِ الظـلمـاءُ حَيْـرانا

غـاب الهُدى عن نواحيـهـا، فليسَ بهـا

إلا طيـوفُ ظلالٍ لُحْنَ ألوانـا

ضلّتْ زوارقُـهُم فـيـهـا ولا قَـبَسٌ

من الضـيـاءِ يحـيلُ الشكَّ إيمَـانَا

قـد كـان زورقُكِ المسـحور أسـرَعَهـا

طوى الخَضَمَّ لدنيـا الغَـيْب عَـجْلانَا

ترنو وراءك ، لا الأمواج مشرقة
كما عَهِدْنا ، ولا الأنسام ترْعاَنَا

لكنها ظلماتٌ حول موكبنا
ولَفْحَةٌ من جحيم ملء دُنْيانَا

قد كنت من بيننا فجراً يَفيضُ على
أيامنا السودِ أفراحًا وألحانا

عمرٌ كُعمر ضياء الفجر ، ثم بَدَتْ
أشعةُ الصبح تكسو الفجرَ أكفانا

إنا رعينا ضياءَ الفجر مبتهجًا
ثم انثنينا نرى الصبحَ أسوانا

لم يبَق من بَسَماتِ الفجرِ غير صدىً
عذبٍ تردَّدَ في الأسماعِ هَيْمَانا

صوتٌ من الخلد بين القلبِ منزلهُ
إنّا وَ عَيناهُ جناتٍ ونيرانا

المحتوى

